سلسلة دروس

(تعلم محكمات الإسلام من خلال تفسير سورة يونس)

الحلقة الرابعة: الإيمان برسل الله وأنبيائه



عناصر الحلقة الرابعة:

وفيها بيان:

- ✓ كيف ذكر القرآن خبر الأنبياء والمرسلين؟
- ✓ من هم الأنبياء والمرسلون؟
- ✓ ولماذا بُعثوا وما الذي جاءوا به؟
- ✓ وما هي براهين صدقهم وغير ذلك من الأمور التي ذكرها القرآن وحديث رسول الله عنهم.

نذكر قواعد جامعة عن الإيمان بالرسل إن شاء الله.

ثم يكون لنا مع كل نبي كريم منهم سبر لقصته في القرآن من خلال: (سورة الأعراف وهود والشعراء والأنبياء وغيرها إن شاء الله)

وأحبُّ أن أقدّم بالتذكير بأمور أساسية:

- **أعظم حق يُتمسّك به هو القرآن:** ((وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)) ولن يهتدي إنسان ويطمئن قلبه في هذه الأرض إلا بقدر اهتدائه بهذا الكتاب فهو الهدى والنور والفرقان والنذير والبشرى وهو الآيات البينات والبصائر (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)
- **وإن أعظم طريق للعلم بالهدى وبراهينه والفرقان بينه وبين الباطل هو القرآن** ولا يكون برهان على إثبات حقٍ أو رد باطل في أمر من أمور دينه إلا ويكون في القرآن حُجتُه على أتم وجه وأحسن بيان
- **فمن أخص مقاصد هذه الدروس أن نتعلم كيف عرض القرآن المقالات الباطلة وذكر حجج أصحابها** ودوافعهم وكيف ردّها، وكشف الباطل، ولا يوجد باطل إلى يوم الدين إلا وأصله مذكور في القرآن مع نقضه
- **وأن تعلم أنه ما من حق في أي مسألة تخص الإسلام إلا وفي كتاب الله البرهان على سبيل الهدى فيها،** وأن المسائل الكبرى التأسيسية في الدين (مبدأ الخلق والخالق سبحانه وأسمائه وحكمته ورسله ووحيه وشرعه وقدره واليوم الآخر) وتفاصيل ذلك فقد جاءت أعظم براهينه في الوحي

- **وأن تعلم أن أصول المقالات الباطلة في الدين مذكورة في القرآن مع نقضها بأعظم حجة** (سواء في ذلك جحد الخالق أو إنكار حكمته أو إنكار رسالته ووحيه او اتخاذ شريك معه أو نسبة اتخاذ الولد أو الاحتجاج بالقدر على ترك شرعه أو تشريع ما لم يأذن به أو إنكار الآخرة) أو غير ذلك
- **وكذلك من أراد نقض أي باطل في قضايا الدين ولم ينطلق من الوحي ولم يرد الخلاف إليه فردُّه إما باطل أو ناقص** وما في القرآن من الحجة والبيان أعظم منه بلا مقارنة ((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا))

والمعنى: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاءوا به وأحسن منه تفسيرًا. وبيانا وتفصيلا وكشفا وحجة وضربا للأمثال وغير ذلك من البيان

قال ابن كثير رحمه الله: ((ولا يأتونك بمثل أي: بحجة وشبهة إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا، أي: ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم))

- ولا يُفلح من طلب الهدى من غيره ولا طلب براهين الهدى أو رد الباطل من غيره (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم).

وهو من معاني قوله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى))

- وكل من ابتدع مسألة منسوبة للدين ولا أصل لها في القرآن فهو مُحدِث في الدين بدعة كما أن من ابتدع حُجة على مسألة دينية وأصلها ليس في القرآن فهو مُحدِث والقرآنُ كاف في (المسائل وبيان الهدى فيها والحجج على الحق وردّ الباطل) كما أن من أعظم الخطأ هو ظنُّ كثير ممن تكلموا عن القرآن حيث ظنوا أنه مجرد أخبار ليس فيه أدلة عقلية

ونشأ عن ذلك نوعان من الخطأ:

✓ **قسم علموا ضرورة البراهين العقلية على أمور الإيمان الكبرى** فلما ظنوا أن القرآن مجرد خبر طلبوا الأدلة العقلية من غير القرآن (أيًا كان مصدرهم) وسمّوا القرآن (سمعيات-خبرًا-نقلا) ونحو ذلك

✓ **قسم قبلوا القرآن وتمسّكوا به لكنهم لم يُبصروا حجج الله فيه** التي يمكن أن تسمى (حججا عقلية)

وأساس الغلط هنا أمران:

- جهلهم موضع الدلالة العقلية في آيات القرآن

-ثم إن القرآن هو آيةُ النبي صلى الله عليه وسلم لمكذبين له مفترين فيجب أن يكون حجة عليهم ليس من جهة تصديق المخبِر وإلا لأمكنَهم أن يقولوا: نحن نكذبك

فلابد أن يقيم حججا وبينات تثبت أنه رسول من الله ثم على تفاصيل الرسالة من (أن الله هو الرب الواحد والإله الحق ونقض الشرك وادعاء الولد له وتشريع ما لم يأذن به الله وإنكار البعث) وغير ذلك، وهذه الحجج لابد أن تكون عقلية

وفي حديثه عمّن طلبوا على الحق أدلة من غير القرآن قال ابن تيمية: ((وهم لم يتعلموا ما جاءت به الأنبياء ولم يأخذوا عنهم الدلائل والأصول والبينات والبراهين، وإذا وجب أن يؤخذ عن الأنبياء ما أخبروا به من أصول الدين ومن تصديق خبرهم مع وجود ما يُعارضه فلأن يؤخذ عنهم ما بينوا به تلك العقائد من الآيات والبراهين أولى وأحرى؛ فإنه بهذا يتبين ذاك وإلا فتصديق الخبر متوقفٌ على دليل صحته أو على صدق المخبر به، وتصديقُه بدون أن يعلم أنه في نفسه حق أو أن المخبر به صادق= قول بلا علم، والرسول صلوات الله عليه وسلامه قد أُرسل بالبينات والهدى بيَّن الأحكامَ الخبرية والطلبية وأدلتها الدالةَ عليها، بيَّن المسائل والوسائل، بيّن الدينَ: ما يُقال وما يُعمل، وبيَّن أصوله التي بها يُعلم أنه دينٌ حقٌ، وهذا المعنى قد ذكره الله تعالى في غير موضع، وبيَّن أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، ذكر هذا في سورة التوبة والفتح والصف، والهدى هو: هدى الخلق إلى الحق وتعريفُهم ذلك وإرشادهم إليه، وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة والآيات الدالة على أن هذا هدى، وإلا فمجردُ خبرٍ لم يُعلم أنه حقٌ ولم يقُم دليلٌ على أنه حق ليس بهدى، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبياء نبيَنا وغيرَه ذكر أنه أرسلهم بالآيات البينات وهي الأدلة والبراهين البيّنة المعلومةُ علما يقينيا، إذ كان كلُ دليل لا بد أن ينتهي إلى مقدمات بينة بنفسها قد تسمى بديهيات وقد تسمى ضروريات وقد تسمى أوليات وقد يقال هي معلومة بأنفسها فالرسل صلوات الله عليهم بُعثوا بالآيات البينات، وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) النبوات

فأسعد الناس حظا من القرآن: من تمسّك به وعلم ما به من موضع الحُجة

لذلك قال الله: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))

وأمره: ((فاستمسك بالذى أُوحِى إليك إنك على صراط مستقيم)) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ))

وبراهين الوحي تجمع بين جهتي القبول:

–البرهان والحجة والبيّنة

– والموعظةُ والتذكير والوعد والوعيد والنُّذُر والبشرى (كالحديث عن الله ورحمته وإرادته للهدى والتوبة عن عباده، والحديث عن الجنة والنار والتذكير بالأمم السابقة وعاقبتهم، والتذكير بنعمة الله والأمر بشكرها والنهي عن الكفر بها) وغير ذلك.

قال الله سبحانه: ((وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)) قولُه: ((ومثلا من الذين خلوا من قبلكم)) أي: خبرا عن الأمم الماضية، وما حلَّ بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى، كما قال تعالى عن قوم فرعون: (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين)

(وموعظة) أي: زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحارم (للمتقين) أي: لمن اتقى الله وخافه.

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)).

فالوحيُ يخاطب في الإنسان كلَ معنى يُعتبر به فهو: تذكيرٌ للناسي، وتنبيه للغافل، وتطهيرٌ للفطرة وإصلاح لفسادَها، وهو شفاء لما في الصدور فيُزيحُ عن قلبه موانع الهدى: في الجانب العملي (الجهل والريب والشك) والجانب العملي مثل (الشرك والرياء والحسد والشهوة وحب الدنيا والافتقار لغير الله والتوكل على غير الله.) نحو ذلك مما يصرف الإنسان عن العمل بما عرف من الحق

قال ابن تيمية رحمه الله: ((والمقصود هنا أن الرسول بين للناس الأدلة والبراهين الدالة على أصول الدين كلها كما قد ذكر سبحانه هذا في مواضع كقوله (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله) وقوله (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ومن ذلك قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وقد وصف الرسولَ بذلك في مواضع فذكر هذا في البقرة في دعوة إبراهيم، وفي قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وفي قوله (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به)

وهنا لم يذكر يتلو عليهم آياته ويزكيهم لحكمة تختص بذلك وذكر هذا في آل عمران في قوله ((لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)) وقد قال ((واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة))

وهذا شبه الموضع الثالث في البقرة فأخبر في غير موضع عن الرسول أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فالتلاوة والتزكية عامة لجميع المؤمنين فتلاوة الآيات يحصل بها العلم فإن الآيات هي العلامات والدلالات فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب من تصديق الرسول فيما أخبر والإقرار بوجوب طاعته وأما التزكية فهي تحصل بطاعته فيما يأمرهم به من عبادة الله وحده وطاعته فالتزكية تكون بطاعةٍ مرة كما أن تلاوة آياته يحصل بها العلم وسميت آيات القرآن آيات وقيل: إنها آيات الله كقوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) لأنها علامات ودلالات على الله، وعلى ما أراد فهي تدل على ما أخبر به وعلى ما أمر به ونهى عنه وتدل أيضا على أن الرسول صادق إذ كانت مما لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثلها وقد تحداهم بذلك كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع وأيضا فهي نفسها فيها من بينات الأدلة والبراهين ما يبين الحق فهي آيات من وجوه متعددة ثم قال ويعلمهم الكتاب والحكمة وهذا لمن يعلم ذلك منهم وقد يتعلم الشخص منهم بعض الكتاب والحكمة فالكتاب هو الكلام المنزل الذي يُكتب، **والحكمة هي السنة**

وهي معرفة الدين والعمل به، وقد قال تعالى (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال تعالى (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) ففرّق بين الآيات الدالة على العلم التي يعلم بالعقل أنها دلائل للرب، وبين النذر: وهو الإخبار عن المخوف كإخبار الأنبياء بما يستحقه العصاة من العذاب فهذا يُعلم بالخبر والنذر ولهذا قال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وأما الآيات فتُعلم دلالتها بالعقل، والأنبياء جاءوا بالآيات والنذر وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) وقال تعالى (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) انتهى

وخلاصة المعنى: ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)))

فلا يكفر بتلك الآيات بعد علمه بها إلا المُبطلون الفاسقون الظالمون

لذلك بعد ذكر الله تعالى لآيات رُسله وبيانها قال الله لنبي محمد ﷺ ((وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ))

((أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك وصدر رسالتِك، وأعظمها تلك الآيات / القرآن وما فيه من براهين لكل من أرسلتَ إليهم، وما به من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمُها إلا أحبارُهم وعلماؤهم –وما حرَّفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه، من أحكامهم التي كانت في التوراة. فأطلعها الله في القرآن، فكان في ذلك من أمره، الآيات البينات لمن أنصف نفسه، ولم يدعه إلى إهلاكها الحسدُ والبغيُ. إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة، تصديق من أتى بمثل الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصفت من غير تعلم تعلمه من بشر، ولا أخذ شيء منه عن آدمي.))

من تفسير الطبري بتصرف

وصدق الله ((تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ))

وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لبراهين الوحي وآياته

- وهذه الحلقات هي بإذن الله ممارسة وتفعيل لبيان هذه الأمور من خلال ما تضمنته سورة يونس من قضايا الإيمان لننظر كيف بيّن القرآن الهدى فيها وأقام عليه البينات وذكر الفرقان بينه وبين الباطل المتعلق بالباب
- وأحبُّ أن أُذكّر بمعنى عظيم كثيرا ما أُنبّه عليه: كيف أخذ الصحابة القرآن عن رسول الله:

عن ابن مسعود، قال: «كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ» عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: « لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ وَأَحَدُنَا يَرَى (وفي رواية: يُؤْتَى) الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ نُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، وَلَا يَدْرِي

مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، وَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ ». ورواه أبو جعفر النّحاس في "القطع والائتناف"، وقال: «وقول ابن عمر: لقد عشنا برهة من الدهر، يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة».

عَنْ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: « إِنَّمَا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ، قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا، (وفي رواية: كنا إذا تعلمنا العشر من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نتعلم حلالها وحرامها وأمرها ونهيها)، وَإِنَّهُ سَيَرِثُ الْقُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شُرْبَ الْمَاءِ لَا يُجَاوِزُ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَنَكِهِ»

عناصر الحلقة الأولى:

- النبوة من القرآن: كيف ذكر أخبار الأنبياء والمرسلين؟
- آيات الأنبياء

أُذَكِّر بأننا إن شاء الله سنتكلم عن كل مسألة تتعلق بالإيمان تَمُر بنا بشيء من التفصيل وإذا تحدثنا عن الصفحة الأولى من السورة بحسب طبعة المدينة فالمسائل التي تمر بنا هي كالتالي:

النظر والتفكر

حكمة الله في خلقه ((ما خلق الله ذل إلا بالحق))

الإيمان بالرسل

براهين نبوة النبي محمد ﷺ

الوحي

مقاصد الرسالة والوحي

الله هو الرب الواحد (هو رب الناس وإله الناس)

قواعد في باب أسماء الله وأفعاله

معنى الشفاعة (والحديث عن شفاعة المشركين)

المرجع إليه – المبدأ والمعاد

الجزاء (وفيه بيان قسط الله تعالى وأن العبد يُجزى بعمله)

آياته في خلقه لحكمة منه (لتعلموا عدد السنين والحساب) وهو بيان لحكمته

تفصيل الله للآيات خصائص براهين الوحي

وإتقانه ورحمته وخلقه بالحق وأن ذلك هداية لأهل العلم والتقوى

وأحب أن أذكِّر أن سورة يونس كما أنها فصلت الحق فإنها ذكرت أصول الباطل: وخلاصة مذاهب الكفار إما (إنكار الرب / الإلحاد، أو اتخاذ شريك مع الله أو جعلهم لله ولدا) ومن ذلك إنكار الرسالة والوحي وما تضمنه من تفاصيل.

فجاءت السورة بيانا للهدى وبيناته وفيها الفرقان بين الحق والباطل في كل باب منها.

فلذلك سيكون الحديث عن آيات الأنبياء ثم آيات النبي محمد ﷺ

مبدأ النظر والتفكّر: في الآيات المشاهدة يؤدي إلى يقين بأنها من صنع قوي قادر حكيم

وهذا الحكيم لابد أن له من وجودنا حكمة ومن رحمته وعدله أن يبلغنا بحكمته ويعلمنا كيف نؤديها عن طريق وحي منه /هدى باصطفاء رجل منا ليكون المبلغ والمبين بقوله وعمله ليدل الناس على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم بما علمه الله ويستقيم هو نفسه على ذلك

- ((رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلاّ على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلاّ هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلاّ قلبٌ حيٌّ.

ما لجرح بميت إيلام، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه، وأحبَّ نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلٍّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم)

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الرسالة ضرورية للعباد، لا بدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالةُ روح العالم ونوره وحياته، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمسُ الرسالة، **وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة،** وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأمّا الكافر فميت القلب في الظلمات). وبين رحمه الله تعالى: (أن الله سمّى رسالته روحًا، والروح إذا عدمتْ فقدت الحياة، قال الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)) ، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة،

والنور النور) وبين رحمه الله تعالى: (أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياةً للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياةً للأرض، وبالنَّار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله تعالى: ((أَنْزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السّيْلُ زَبَداً رّابِياً وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقّ وَالْبَاطِلَ فَأَمّا الزّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمّا مَا يَنفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرض كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثَالَ)).

وقال رحمه الله معقباً على الآية: (فشبه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به حياة القلوب، كما أنَّ بالماء حياةَ الأبدان، وشبّه القلوب بالأودية، لأنّها محلّ العلم، كما أنَّ الأودية محلُ الماء، فقلبٌ يسع علماً كثيراً، ووادٍ يسع ماءً كثيراً، وقلبٌ يسع علماً قليلاً، وواد يسع ماءً قليلاً، وأخبر تعالى أنَّه يعلو على السيل من الزبدِ بسبب مخالطة الماء، وأنّه يذهبُ جفاءً، أي: يُرمى به، ويخفى، والذي ينفعُ الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاءً، ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس، وقال: ((وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقّ وَالْبَاطِلَ)) فهذا المثل الآخر وهو الناري، فالأول للحياة، والثاني للضياء.

وبين رحمه الله أن لهذين المثالين نظيراً وهما المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى: ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مّنَ الصّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ))

وبعد أن بيَّن رحمه الله وصف المؤمن، بين وصف الكافر، فقال: (وأمّا الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حيّ، وإن كانت حياته حياة بهيمية، فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها الإيمان، وبها حصل للعبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فإنّ الله – سبحانه – جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه).

ثم بيّن رحمه الله هذه الأصول التي أشار إليها هنا فقال:

- ✓ **فالأصل الأول** يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصّها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم.
- ✓ **والأصل الثاني** يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه.
- ✓ **والأصل الثالث** يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنّة والنار والثواب والعقاب).

ثم بيّن أنَّ (على هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلاّ من جهة الرسل، **فإنَّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، وتنزيل الدواء عليه)**.

قال ابن القيم رحمه الله: (حاجةُ الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أنَّ أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأمَّا أهل البدو كلهم، وأهل الكفور كلّهم، وعامة بني آدم – لا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصحُّ أبدانا، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعّل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وجعل لكلّ قوم عادة وعرفاً في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى إنَّ كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس، وعُرفهم وتجاربهم.

وأمّا الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إلى التنفس فضلاً عن الطعام والشراب، لأنّ غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس النّاس قطّ إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك ألبته، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلاّ بالعبور على هذا الجسم)

الإيمان برسل الله وأنبيائه عليهم السلام

وهذا الأصح من قول (الإيمان بالرسل والأنبياء) دون إضافة فيأتي ذكرهم ب (رسل الله) أو (رسله) أو (رسلنا) أو (رسلي) (أنبياء الله) وإذا ذكروا بالتعريف كما في قول (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((ما من الأنبياء نبي ...)) فإنه للعهد المعروف

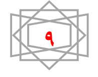
فكل ما ذكر من ذلك لابد أن يُضاف إلى الله فهم رُسل الله وأنبياؤه ثم قد يُذكر بعد ذلك للعهد

قال الله سبحانه ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))

سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ ((فأخْبِرني عن الإيمان، قال: ((أنْ تُؤمِنَ باللهِ، وملائكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ))

- **الإيمان برسل الله وأنبيائه بمن ذكر اللهُ تعالى: في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى: أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا نعلمهم،** قد قال تعالى: ((وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ))
- **الإيمان بأنهم بلغوا ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه** قال تعالى: ((فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ))

وعلى كل رسول: البلاغ المبين



((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ))، وذكر الله رسله، ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ [الأحزاب: ٣٩].

والبلاغ يكون بتلاوة الوحي (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) [العنكبوت: ٤٥]، كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا [البقرة: ١٥١]، فإذاكان الموحى به ليس قرآنا يتلى، فيكون البلاغ ببيان الأوامر والنواهي والمعاني والعلوم التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير.

ومن البلاغ أن يبيّن الرسول الوحي الذي أنزله الله لعباده، قال الله ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل: ٤٤].

والبيان من الرسول للوحي قد يكون بالقول، كما بين المراد من الظلم في قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ [الأنعام: ٨٢]، فقد بين الرسول ﷺ أن المراد به الشرك

وكما بيّن الرسول ﷺ الآيات المجملة في الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك بقوله.

وكما يكون البيان بالقول يكون بالفعل، فقد كانت أفعال الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الصلاة والصدقة والحج وغير ذلك

- **أمر الله بطاعة رسله عليهم السلام وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم** قال الله تبارك وتعالى ((وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا [النساء: ٧٩ – ٨٠]، وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠ – ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ] النور:٥٤ وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى:٤٨]
- **الرسلُ مبشرين ومنذرين ومُذكّرين** وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَنْتَ إلا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إليه وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]، وقال: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن:٢٢ – ٢٣] وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، وقال تعالى: فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى [الأعلى:٩ – ١٠]، وقال تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ [الغاشية:٢١ – ٢٢]، وقال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا [الحشر:٧] وغير ذلك من الآيات: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٣ – ٥] وعن سَعِيدُ بْنُ

مِينَاءَ، حَدَّثَنَا – أَوْ سَمِعْتُ – جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: " جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ " .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ، فَاجْتَاحَهُمْ». رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: قَوْله ﷺ: «وَإِنِّي أَنَا النَّذِير الْعُرْيَان»، قَالَ الْعُلَمَاء: أَصْله أَنَّ الرَّجُل إِذَا أَرَادَ إِنْذَار قَوْمه وَإِعْلامهمْ بِمَا يُوجِبُ الْمَخَافَة نَزَعَ ثَوْبه، وَأَشَارَ بِهِ إِلَيْهِمْ إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُمْ لِيُخْبِرَهُمْ بِمَا دَهَمَهُمْ، وَأَكْثَر مَا يَفْعَلُ هَذَا رَبِيئَة الْقَوْم، وَهُوَ طَلِيعَتهمْ وَرَقِيبهمْ.

ودعوة الرسل إلى الله تقترن دائماً بالتبشير والإنذار (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ) [الكهف: ٥٦]، وقد ضرب الرسول ﷺ لنفسه مثلاً في هذا، فقال: ((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العُريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذَّبته طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق)).

وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وأخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. ﴿فَمَنِ اتّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلّ وَلاَ يَشْقَىَ﴾ [طه: ١٢٣].

ويعدونهم بالعزّ والتمكين والأمن: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً﴾ [النور: ٥٥].

ويخوّفون العصاة بالشقاء الدنيوي: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾[طه: ١٢٤]

ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]،

وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

ويخوفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

الحكم بين الناس:

الذين يستجيبون للرسل يُكونّون جماعة وأمة، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم، والرُّسل يقومون بهذا في حال حياتهم، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ قال الله (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تتبع الهوى فيُضلك عن سبيل الله) وأنبياء بني إسرائيل كانوا يسوسون أمتهم بالتوراة، وفي الحديث ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ)) وقال الله عن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

فالرسل وأتباعهم من بعدهم يحكمون بين الناس، ويقودون الأمة في السلم والحرب، ويلون شؤون القضاء، ويقومون على رعاية مصالح الناس، وهم في كلّ ذلك عاملون بطاعة الله، وطاعتهم في ذلك كلّه طاعة لله مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

- **والإيمان بجميع رسل الله، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى:** وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)) قال تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) وقال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) وقال الله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))
- **وقد بعث في كل أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بالطاغوت** قال الله ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) لكن من الناس من لم يعرفوا الرسل ممن حقت عليهم

الضلالة، ومنهم من درست عندهم آثار الأنبياء بسبب تزيين الشيطان لها وقد اقسم الله تعالى على إرساله رسلا لكل أمة ((تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أمتك من الدعاء إلى التوحيد لله ، وإخلاص العبادة له ، والإذعان له بالطاعة ، وخلع الأنداد والآلهة (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول: فحسَّن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين، حتى كذّبوا رسلهم، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم، ومعرفة الأنبياء تحتاج طلبا وسبرا لأخبارهم، ومن الناس من يبلغه خبر الأنبياء فلا يهتم ولا يسأل ولا يعتبر ومنهم من يحرف دينهم، والله تعالى ذكر خبر الأنبياء وأقوامهم في القرآن ويبين دعوة الأنبياء وحال من صدقهم وعاقبتهم وحال من كذبهم وعاقبتهم وذكر سبحانه آثارهم ومن لم يشاهد آثارهم فقد أمره بالسير في الأرض وليسال عنهم وليسمع أخبارهم المتواترة قال الله

((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرض فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ))

وذكّر مؤمن آل فرعون قومه –ذكر الطبري رحمه الله اختلاف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن؛

فقال بعضهم: كان الرجل إسرائيلياً، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون.

وقال آخرون: – وهو الصواب: إنه من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله} ((يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)) ولما سمع ورقة بن نوفل والنجاشي وغيرهما خبر الرسول ﷺ علموا أنه نفس ما أنزل على من سبقه من الأنبياء واعتبروه به. قال ورقة: هذا هو النَّاموس الذي كان يأتي موسى، وكذلك الجنُّ لما استمعوا القرآن ((قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى

الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ)) **وفي اقتران ما نُزل على محمد وموسى** **قال ابن تيمية رحمه الله** ((والقرآن أصلٌ كالتوراة، وإن كان أعظم منها. ولهذا علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد ﷺ، كما قال النجاشي ملك النصارى لما سمع القرآن: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

وكذلك ورقة بن نوفل، وهو من أحبار نصارى العرب لما سمع كلام النبي ﷺ قال له: إنه يأتيك الناموس الذي يأتي موسى ... ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن ...)). الجواب الصحيح ١/١١٦-١١٨.

والناس يصدقون بوجود علماء وفلاسفة وأطباء ومفكرين ولُغويين وغيرهم عن طريق طلب أخبارهم فمن رأى آثارهم وتراثهم وسمع أخبارهم علم ما كانوا عليه، فطلبُ خبر الأنبياء أعظمُ وبراهين وجودهم وقصصهم وما دعوا إليه أظهرُ وأبين وأشهر فمن لم يطلبه فهو الذي ضل واتبع هواه، ومن أنكر رسالة المرسلين وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فهو إما لم يطلبه أصلا أو هو معاند جاحد أو طالبُ رياسة كهرقل أو حسدا كأحبار اليهود وغيرهم، أما من طلبه بصدق وأراد الهدى فلابد أن يؤمن به.

قال ابن تيمية: ((من أقر بجنس الأنبياء يلزمه الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم نبوة عين هذا النبيّ تكون ظاهرة؛ لأنّ الذي جاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء. فمن أقرّ بجنس الأنبياء، كان إقراره بنبوة محمّد في غاية الظهور، أبينُ مما أقرّ أنّ في الدنيا نحاةً، وأطباء، وفقهاء. فإذا رأى نحو سيبويه، وطب [أبقراط]، وفقه الأئمة الأربعة، ونحوهم، كان إقراره بذلك من أبين الأمور. ولهذا كان من نازع من أهل الكتاب في نبوة محمد إما أن يكون لجهله بما جاء به، وهو الغالب على عامتهم، أو لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين منهم.

والعرب عرفوا ما جاء به محمد. فلمّا أقرّوا بجنس الأنبياء، لم يبق عندهم في محمّد شكّ. وجميع ما يذكره الله تعالى في القرآن من قصص الأنبياء، يدلّ على نبوّة محمّد بطريق الأولى؛ إذ كانوا من جنس واحد، ونبوّته أكمل. فينبغي معرفة هذا، فإنّه أصل عظيم١.

ولهذا جميع مشركي العرب آمنوا به، فلم يحتج أحد منهم أن تؤخذ منه جزية. فإنّهم لما عرفوا نبوته، وأنّه لا بُدّ من متابعته، أو متابعة اليهود والنصارى، عرفوا أنّ متابعته أولى. ومن كان من أهل الكتاب: بعضهم آمن به، وبعضهم لم يؤمن جهلاً، وعناداً. وهؤلاء كان عندهم كتاب ظنوا استغناءهم به، فلم يستقرئوا أخبار محمد، وما جاء به خالين من [الهوى]، بخلاف من لم يكن له كتاب؛ فإنّه نظر في الأمرين نَظَرَ خالٍ من الهوى، فعرف فضل ما جاء به محمد على ما جاء به غيره. ولهذا لا تكاد [توجد] أمة لا كتاب لها يُعرض عليها دين المسلمين، واليهود، والنصارى، إلاَّ رجّحت دين الإسلام؛ كما يجري لأنواع الأمم التي لا كتاب لها)) وقال ((فمن أقرّ بجنس الأنبياء يلزمه أن يُقرّ بنبوة محمد ﷺ؛ لأنها في غاية الظهور والبيان. وهذا الأصل من الطرق التي بها تعرف نبوته ﷺ)). وانظر: الجواب الصحيح ٥/١٤١-١٤٢، ٦/٣٤٥-٣٥٠.))

يقصد أن من آمن بوجود الأنبياء بناء على أي حجة تدل عليهم (عن طريق كتابهم أو أخبارهم أو آياتهم أو دعوتهم) فيلزمه الإيمان بالنبي محمد لأنه ما من حجةٍ للأنبياء إلا وله أعظم منها

وقد قال الله سبحانه للنبي ﷺ: ((وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)) وقد نزلت في أهل الكتاب وهي في غيرهم أولى. فإذا كان أهل الكتاب الذين هم أقرب إلى الحق من غيرهم يجب عليهم اتباع النبي ﷺ فكيف بمن لا كتاب عندهم ولا رسالة؟

- **ومن الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله: الإيمان بأنهم جميعهم صادقون** بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين وسبق ذكر طرف من ذلك عند بيان قول الله ((الله أعلم حيث يجعل رسالته))

والإيمان بما جاء من تفصيل فضائلهم وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات.

- **دينهم واحد وهو الإسلام وهو أن يكون الدينُ كله لله وأن يُعبد الله بما شرع**، ولكلٍ جعل الله شِرعة ومنهاجا (وسبق بيان ذلك)
- **الإيمانُ بما أنزل عليهم جميعا من الهدى والوحي والكتب وإن لم نعلم تفاصيله، والإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلا** قال تعالى: ((قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))
- **حقُ الله تعالى في العبادة لا يشركه فيه غيرُه، لا نبيٌّ ولا مَلك**، وكل رسول نُهيَ أن يأمر الناس بعبادته، وأُمر بتبليغ رسالات الله وأمْرِ الناس بعبادة الله وحده والنهي عن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا قال الله سبحانه بعد ذكره للملائكة ((وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ))

وقال سبحانه ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ))

وقال الله تعالى ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ))

- **الأنبياء دعاة إلى الله وهُداةٌ إلى صراصه بما علّمهم من الوحي** كما قال الله للنبي ﷺ ((وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)) وقال الله تعالى عمّن كفروا دعوة الرسل ((ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ))

- **لا يملك أي نبي منهم نفعا ولا ضرا ولا هدايةً لقلب أحد** ولو حرِص، فالله تعالى هو الذي يملك الضر والنفع ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين قال الله للنبي محمد ﷺ ((قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))

وقال له: ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))

وفي بيان عظيم لهذا المعنى قال الله: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)).

وقال نوح لقومه الكافرين: ((وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) وقال إبراهيم لأبيه ((وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ))

- **لذلك فإن الرسول ليس عليه هدايةُ الناس ولا حسابهم، وليس عليهم بجبار ولا مسيطر ولا مُكرِه، بل عليه البلاغ المبين والتذكير** قال الله للنبي ﷺ: ((لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)) ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)) ((وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)) ((نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ)) وقوله: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول: لست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد
- **لذلك نهاه الله أن يُذهب نفسه حسرات على من كفر أو يحزن على كفره** ((أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ))
وقال تعالى: ((وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))
- **لا يملك الرسول تبديل أو تغيير ما أُوحى الله به** (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) وقال: ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ))
- **ذكر الله في كتابه أنبياءه ورسله** فذكر في مواضع متفرقة آدم وهوداً وصالحاً وشعيباً وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ومحمداً عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿إِنّ اللهَ اصْطَفَىَ آدَمَ...﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾[هود: ٥٠]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ [هود: ٨٤]، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلّ مّنَ الصّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] ﴿مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ...﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد في سورة الأنعام ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

من هؤلاء أربعة من العرب، فقد جاء في حديث أبي ذر في ذكر الأنبياء والمرسلين: ((منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر)).

ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل: العرب العاربة، وأمّا العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وهود وصالح كانا من العرب العاربة.

الأسباط: الأنبياء الذين سبق ذكرهم مذكورون في القرآن بأسمائهم، وهنا بعض الأنبياء أشار القرآن إلى نبوتهم، ولكننا لا نعرف أسماءهم، وهم الأسباط،

والأسباط قيل: هم أولاد يعقوب، وقد كانوا اثني عشر رجلاً عرّفنا القرآن باسم واحد منهم وهو يوسف، والباقي وعددهم أحد عشر رجلاً لم يعرفنا الله بأسمائهم، ولكنه أخبرنا بأنّه أوحى إليهم، قال تعالى: ((قُولُوَاْ آمَنّا بِاللهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ))

وقال: ((أَمْ تَقُولُونَ أن إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىَ..))

هناك أنبياء عرفناهم من السنة، ولم يُذكروا بأسمائهم في القرآن منهم:

يوشع بن نون:

روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولما يبنِ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها، قال: فغزا، فأدنى للقرية حين صلاةِ العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهمَّ احبسها عليَّ شيئاً، فحسبت عليه حتى فتح الله عليه)).

والدليل على أنَّ هذا النبي هو يوشع قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الشمس لم تحبس إلاّ ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس)) .

وورد خلافٌ في نبوة بعض الصالحين، منهم:

١- ذو القرنين:

ذكر الله خبر ذي القرنين في آخر سورة الكهف، ومما أخبر الله به عنه أنه خاطبه ((قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً))[الكهف: ٨٦].

٢- تُبّع:

ورد ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ((أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)) وقال: ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)) ، فهل كان نبيّاً مرسلاً إلى قومه فكذبوه فأهلكهم الله؟ الله أعلم بذلك.

الأفضل التوقف في أمر ذي القرنين وتُبّع:

٣- الخضر:

الخضر هو العبد الصالح الذي رحل إليه موسى ليطلب منه علماً، وقد حدثنا الله عن خبرهما في سورة الكهف ووقع خلاف فيه أيضا (وليس هذا موضع تحرير الخلاف)

تنبيه: يذكر علماء التفسير والسير أسماء كثير من الأنبياء نقلاً عن بني إسرائيل، أو اعتماداً على أقوال لم تثبت صحتها، فإن خالفت هذه الآثارُ شيئاً مما ثبت القرآن وسنة نبينا ﷺ علمنا كذبه كقول الذين قالوا: (إنَّ الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى.

وهذا لا يصح؛ لأنَّه ثبت في الحديث الصحيح أنّه ليس بين عيسى ابن مريم وبين رسولنا صلوات الله وسلامه عليهما نبيٌّ، فالرسل المذكورون في آية سورة يس إما رسل بعثوا قَبل عيسى، وهذا هو الراجح، أو هم –كما يقول بعض المفسرين – مبعوثون من قبل عيسى وهذا بعيد، لأن الله أخبر أنّه مرسلهم

أما ما ورد عن بني إسرائيل من أخبار بتسمية بعض الأنبياء مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة، فلا نكذّبه، ولا نصدّق به، لأنَّ خبرهم يحتمل الصدق والكذب.

نصٌ جامع في مقاصد دين الإسلام ويُؤكّد على أهمية طلب العلم بالحق وحُججه، وبيانه، والإحسان إلى الخلق، وحُب الخير لهم، وطلب هدايتهم، ومكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والجهاد في سبيل الله في الدِّين

ويُبيّن شمول الرسالة تفاصيل دعوة الرُّسل الكرام والذي يجب أن يكون عليه الدّاعي إلى الله مِن العلم والخُلُق قال ابن تيمية:

((الرسول ﷺ بعثه الله تعالى هدىً ورحمةً للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم واحتماله فبعثه بالعلم والكرم والحلم: عليم هاد، كريم محسن ، حليم صفوح .فهو يعلم ويهدي ويصلح القلوب، ويدلّها على صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض، وهذا نعت الرسل كلهم وهذه سبيل من اتبعه، وكذلك نعت أمته بقوله:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ، قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس: تأتون بهم في السلاسل حتى تدخلوهم الجنة ، فيجاهدون – يبذلون أنفسهم وأموالهم –لمنفعة الخلق وصلاحهم ، وهم يكرهون ذلك لجهلهم ، كما قال أحمد في خطبته: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم قتيلٍ لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائهٍ قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على

الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ! .. إلى آخر كلامه. وهو –سبحانه وتعالى – يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها ، وهو يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات ، وقد قيل أيضاً: وقد يحب الشجاعة ولو على قتل الحيات، ويحب السماحة ولو بكف من التمرات)

وأهل السنة والجماعة في أخلاقهم وسلوكهم يأتمون بالكتاب والسنة، سواء في علاقتهم مع بعضهم، أو مع غيرهم. يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمرِّ القضاء

ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا "، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق،

ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها، وكل ما يقولونه من هذا أو غيره، فإنّما هم فيه متَّبعون للكتاب والسنة)

معنى النبي والرسول:

أولا: ليس هناك تطابق بين (النبي والرسول) ويدلّ على الفرق:

١–ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِهِ)) والعطف يقتضي عدم المطابقة

٢–ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حقِّ موسى عليه السلام: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىَ إِنّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نّبِيّاً))

٣–ولعل مما يبين ذلك قال سبحانه وتعالى: ((تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)) [البقرة: ٢٥٣]. فهذا نص في التفاضل بين الرسل خاصة من جملة الأنبياء، فقد ذكرهم الله عز وجل فقال: تِلْكَ الرُّسُلُ ثم ذكر سبحانه رسلاً مبيناً أوجه فضلهم.

وقال سبحانه: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [الإسراء: ٥٥]. فقد ذكر هناك الرسل وهنا ذكر الأنبياء وذكر منهم داوود عليه السلام

والشائع عند كثير ممن تكلّم في تعريف رسول الله ونبي الله أنَّ النبي أعم من الرسول، فالرسول هو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وهذا الذي ذكروه هنا تدل الأدلة على خلافه، لأمور:

الأول: أن الله أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ...)، وقال سبحانه ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)) فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

ثم أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليُكتم بل أمر الله بالبلاغ، بل هذه خاصّة من أوحِي إليه!

وقول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس: ((عرضت عليّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد))

فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

وذُكر فرق بينهما وهو أنَّ: (الرسولَ مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله) .

ومن أدلة أصحابه: حديث: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ)) ، وأنبياء بني إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ...)) فالنبي كما يظهر من الآية يُوحَى إليه شيء يوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ. واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحي فهؤلاء جميعاً أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم

وهذا مع وجاهته لكن الذي أجزم به أنه لا يتطابق لفظ الرسول ولفظ النبي، ، لكن تحرير الفرق بينهما يحتاج نصا واضحا

وهل الرسالة أعلى من النبوة ومتضمنة لها؟ هذا هو الأقرب.

فقد بدأ الله بذكر الرسول قبل النبي في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ). وقدم سبحانه الوصف بالرسالة على الوصف بالنبوة في قوله في كل من موسى وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]. فلعل في هذه دلالة على فضل الرسول على النبي، إذا الترتيب كان قاضيا بتقديم النبي على الرسول، لأن النبوة تكون أولاً ثم الرسالة، ففي تقديمها على النبوة إفادة معنى. والله أعلم

- **فضّل الله تعالى بعض رسله على بعض**

قال سبحانه وتعالى: ((تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)) [البقرة: ٢٥٣]. فهذا في التفاضل بين الرسل خاصة من جملة الأنبياء، فقد ذكرهم الله عز وجل فقال: تِلْكَ الرُّسُلُ ثم ذكر سبحانه رسلاً مبيناً أوجه فضلهم.

وقال سبحانه: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [الإسراء: ٥٥]. والرسل داخلون في هذا الإطلاق وهو إطلاق يفهم منه تفاضل الرسل فيما بينهم فإنه غير مانع من أن يكون الرسل من الأنبياء متفاضلين فيما بينهم.

- **وأفضل الرسل أولوا العزم منهم**، قال سبحانه وتعالى آمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الخلق: ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ)) [الأحقاف: ٣٥]. فذكرهم الله عز وجل بالعزم وخصهم بالذكر من بين رسله، وأمر نبيه محمداً ﷺ وقد فضله على جميع خلقه أن يقتدي بهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: (أفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم).

وقال ابن كثير: (لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم).

ومعنى العزم الذي ذُكروا به، وفضِّلوا به: الحزم والصبر، فإن العزم في أصل اللغة دال على الصريمة والقطع واجتماع القلب على الشيء، وفي كتاب الله ما يدل على تفسير العزم بالصبر دلالة ظاهرة قال سبحانه: ((وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)). وقال لقمان لابنه: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) وقال سبحانه: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) فقد أمر الله فيها نبيه بالصبر اقتداء بأولي العزم في صبرهم.

والمقصود بالصبر، الصبر على تبليغ الرسالة، وأمانة أدائها، وتحمل مشاقها، والصبر على أذى المرسل إليهم، مع الحزم في الدعوة وأداء الرسالة، ونحوه من المعاني

وقال الله له ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا)) ((فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ))

تعيين أولي العزم

أولو العزم هم بعض الرسل لا كلهم ف(مِن الرسل) في آية الأحقاف للتبعيض . فإن خروج بعض الرسل من أن يكونوا معنيين في الآية ثابت في كتاب الله، فالله عز وجل أمر نبيه في هذه الآية بالاقتداء بأولي العزم، ونهاه في آية أخرى عن أن يكون كصاحب الحوت يونس عليه السلام إذ قال سبحانه: ((وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)) [القلم: ٤٨]. ويونس عليه السلام رسول، قال سبحانه: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) [الصافات: ١٣٩]. وقال: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) [الصافات: ١٤٧].

وقيل: أولو العزم هم كل الأنبياء عدا يونس عليه السلام، وهو مرجوح بأمرين ورد الدليل بهما:

- ✓ الأول: أن الآية نص في أنهم من الرسل لا من الأنبياء غير الرسل.
- ✓ الثاني: أن الله نفى العزم عن آدم عليه السلام وهو نبي، ولم يستثنه أصحاب هذا القول قال سبحانه: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) [طه: ١١٥]. والله أعلم

وما من شك أن الله لم يرسل رسولاً إلا وهو ذو عزم وجد في طاعة الله فيما ائتمنه عليه، ولكن خص هؤلاء بالذكر والتفضيل لأنهم أعظم وأكمل عزماً من غيرهم، والله أعلم.

وقد اختلفت الأقوال في تعيين أولي العزم من هم. ويمكن تصنيفها إلى قسمين:

الأول: قول من جعل التعيين بالصفة لا بالتسمية:

- ✓ كقول من قال: إنهم الذين امتُحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن إلا جداً في أمر الله.
- ✓ وقول من قال: إنهم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفار، وهو مروي عن الشعبي ومجاهد والسدي وغيرهم.

✓ وقول من قال: إنهم الذين لم تصبهم فتنة من الأنبياء، وهو مروي عن الحسن .

✓ وقول من قال: إنهم العرب من الأنبياء، قاله مجاهد والشعبي . ولم تذكر للقائلين بما تقدم أدلة لما قالوه.

والثاني: قول من جعل التعيين بالتسمية، وهي أقوال:

فقيل: هم الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام الآيات ٨٤ — ٨٦ لقوله سبحانه في عقب ذكرهم (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ [الأنعام: ٩٠]. وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحي وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط . **وهو قول يضعفه أمران:**

✓ أحدهما: أن فيهم أنبياء ليسوا برسل كزكريا ويحي وهما من أنبياء بني إسرائيل، وأولوا العزم رسل.

✓ ثانيهما: أنهم لم يخصوا تعييناً في أمره سبحانه نبيه بالاقتداء بهم، فقد قال سبحانه بعد أن ذكرهم وقبل الأمر بالاقتداء (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) فهو أمر بالاقتداء بهدي الأنبياء جملة، قال ابن كثير في قوله تعالى: أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ (أولئك: يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه) .

وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورتي الأعراف والشعراء

وقيل غير ذلك، ولكن الأشهر المتداول في كتب العلم أنهم خمسة **وهم**: **محمد، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة** والسلام، وهم الخمسة المذكورون نصاً في قوله سبحانه: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)) وفي قوله سبحانه: ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ))

فقد خصهم الله عز وجل بالذكر في هاتين الآيتين من بين الأنبياء، وهو تنبيه إلى فضلهم بين سائر الأنبياء، وقد خصهم سبحانه بالذكر في ذكره أعظم الأمور وأفضلها وأغلظها، وهو الميثاق الذي قال فيه: وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا)) والوصايا التي شرعها لخلقه، وذلك ما أخذ على جميع النبيين وبعث به جميع النبيين، وهو العهد الذي بين الله وخلقه، وهو إقامة دين الله، وعدم التفرق فيه، وإسلام الوجه له سبحانه، والدعوة إلى ذلك، والمجاهدة فيه والموالاة فيه والبراءة فيه، وهؤلاء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أكمل وأعظم من قام بهذا الميثاق، ولذا خصوا بالذكر، وهم الذين تفزع الأمم إليهم في الموقف يوم القيامة بعد أبيهم آدم فيتراجعونها حتى تنتهي إلى محمد ﷺ كما في حديث الشفاعة .

والقول بأنهم هم أولو العزم، مروي عن ابن عباس وغيره من أهل العلم،

قال أبو حاتم في آية الأحزاب: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ: (أجمل النبيين ثم قال: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فأفردهم تفضيلاً لهم على سائر الأنبياء) .

يقول ابن القيم في بيان طبقات المكلفين: (الطبقة الأولى وهي العليا على الإطلاق مرتبة الرسالة فأكرم الخلق وأخصهم بالزلفى لديه رسله) قال: (وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورين في قوله تعالى: شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وهؤلاء هم الطبقة العليا في الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم صلى الله عليه وسلم) قال: (الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل على مراتبه من تفضيلهم بعضهم على بعض)

- أما ما ورد عن النبي ﷺ فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تخيروا بين الأنبياء))، و في رواية ((لا تفضلوا بين الأنبياء)) وهو واقع في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم، ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: أضربته؟ قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث، على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخيروا بين الأنبياء..)) الحديث ،

وفي رواية: ((لا تخيروني بين الأنبياء)) وفي رواية: ((لا تفضلوا بين أنبياء الله)) ، وروى القصة أبو هريرة بنحوه إلا أنه قال: ((لا تخيروني على موسى)) وفي حديث ثان قال ﷺ: ((لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى))

فالمراد منه:

- أن المراد بالنهي منع التفضيل من عند أنفسنا بالهوى والتشهي لأن مقام التفضيل إنما هو إلى الله، وروي عن أحمد بن حنبل – رحمه الله – أنه كان يمنع من المفاضلة بين الأنبياء مع قوله بأن بعضهم أفضل من بعض وأن محمداً أفضلهم، لكنه يقول ليس تعيين التفضيل إلى أحد منا .
- أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والتشاجر
- أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى توهم النقص في المفضول أو الغض منه، والإزراء به

. وهو لائق بحديث: ((ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)).

فقد ذكر أهل العلم أنه إنما خص يونس عليه السلام بالذكر لما يخشى على من سمع ما قصه الله علينا من شأنه وما كان من قلة صبره، ونهي نبينا عليهما الصلاة والسلام عن أن يكون مثله، من أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل يونس عليه السلام لسد هذه

والمراد من حديث يونس لا ينبغي لعبد أن ينزه نفسه عن مقام ظلمه لنفسه فقد اعترف يونس بذلك

من فضائل أولو العزم من الرسل

أما إبراهيم عليه السلام فمن فضائله وخصائصه عليه السلام أنه خليل الرحمن لم يشاركه في الخلة إلا محمد صلى الله عليهما وسلم، قال سبحانه: وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً [النساء: ١٢٥]. وقد جعله الله عز وجل إماماً للناس يقتدون به ويهتدون بهديه، قال سبحانه: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٢٤]. وقال سبحانه: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل: ١٢٠]. وقال سبحانه: ((وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ))

وقد أجرى الله على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً لناس ومثابة وأمناً وعهد الله إليه ولابنه تبعاً له تطهير البيت للطائفين، والعاكفين، والركع، والسجود. وأمر سبحانه المؤمنين باتخاذ مقامه مصلى قال سبحانه: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [البقرة: ١٢٥]. و قال تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة: ١٢٧].

وقد حصر الله النبوة والكتاب من بعده في ذريته عليه السلام، قال سبحانه: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: ٢٧]. فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته، وهو عليه السلام أول من يكسى يوم القيامة كما في المتفق عليه من حديث ابن عباس قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: ((إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً – كما بدأنا أول خلق نعيده – الآية وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم)) .

وقد جمع الله له منزلتين عظيمتين، قال سبحانه: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا) وشمائله أكثر من ذلك

وأما نوح – عليه السلام – فقد جاهد في الله حق جهاده وهو أول رسول بعث في الناس بعد اختلافهم على دينهم، واجتيال الشيطان لهم، وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً باذلاً وسعه في الدعوة إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، صابراً على أذى قومه، لا تثنيه عن الدعوة إلى ربه كفرهم وتكذيبهم، قال سبحانه: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ))

وقال سبحانه في نوح: قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا [نوح: ٥ – ١٠].

وقال سبحانه عن قوم نوح: قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ [هود: ٣٢– ٣٣].

وأما موسى عليه السلام فهو كليم الله اشتهر من بين الأنبياء بهذه الحلية قال سبحانه: وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [النساء: ١٦٤]. وقال سبحانه: وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ [الأعراف: ١٤٣– ١٤٤].

وقد ورد ذكر تكليم الله موسى في مواضع من كتاب الله. وهو عليه السلام المعني في قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ في قول كافة المفسرين

وأما عيسى عليه السلام فاختص من بين سائر الخلق بأنه ولد لأم من غير أب، وإنما نفخ جبريل في درع جيب مريم فحملت بعيسى عليه السلام وتكلم في المهد وآتاه الله من البينات ما فضله به في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقد ذكر الله كلام عيسى في المهد فكان مما قاله: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) [مريم: ٣٠- ٣٣]. وقد قال سبحانه في ذكر ولادة عيسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم:١٦- ٢٢].

وكان من الآيات التي آتاها الله عيسى عليه السلام ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسرائيل عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقد رفعه الله عز وجل إليه، فهو حي في السماء وهو في الثانية كما في أحاديث الإسراء، قال سبحانه في تكذيب اليهود في دعواهم قتله عليه السلام: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذ ليس في الأنبياء حي إلا هو.

وسينزل عليه السلام في آخر الزمان كما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهذا من خصائصه عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بنزول عيسى عليه السلام قال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً)) . وقال صلى الله عليه وسلم ((كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم)). وأجمعت الأمة على نزوله عليه السلام آخر الزمان

والنبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة))

وقال صلى الله عليه وسلم: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)) قال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفّع". أخرجه الإمام مسلم في صحيحه

وقال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس يوم القيامة". أخرجه الإمام البخاري في صحيحه،

وقال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم، ولا فخر". أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً". أخرجه الإمام مسلم في صحيحه

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الخُلّة: هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يُحبّهم ويُحبونه.... ولهذا لم يكن له صلى الله عليه وسلم من أهل الأرض خليل؛ إذ الخلة لا تحتمل الشركة. فإنه كما قيل في المعنى:قد تخلّلت مسلك الروح مني وبذا سُمّي الخليل خليلاً. (العبودية لابن تيمية) ص ١٢٨. وانظر: (الشفا للقاضي عياض في الفرق بين المحبة والخلة) ١/٢٧٩-٢٨٩.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أنا أكثر الأنبياء تبعاً))

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))

وفي معنى ((ولا فخر)) لا أفتخر بها عليكم بل أقولها إخبارا لكم وشكرا لله على نعمته ولتعلموا ذلك

آيات أنبياء الله ورسله

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

من حكمته ورحمته وعدله سبحانه أنه أرسل رسلا لتعليم لإنذار الناس وليتقوا وليعلموا ما خُلقوا له وليقوموا بالقسط، وتمام ذلك بأنّ أرسلهم بالبينات على صدقهم:

فحاجة الناس عظيمة لأمور:

- للعلم بخالقهم وما خُلقوا له

-وللعلم بصدق رسالة من أرسل، والتمييز بينه وبين الكاذب

والحقُ تتنوع براهينه وكلما اختبرتَه ازددت يقينا به، كما أن الباطل تتنوع دلائل كذبه وكلما اختبرتَه ازدتَ يقينا في كذبه

وقال ابن تيمية: ((وكلما كان الناس إلى شيء أحوجَ كان الرب به أجود))

وفي بيان بديع لقدرة الله تعالى على بيان صدق رسله قال ابن تيمية رحمه الله ((وأما قدرته على تعريف الخلق بأنه نبيه فكما تقدم فإنه إذا كان قادرا على أن يهدي الإنسان الذي كان عَلقة ومُضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعاما عليه وفي ذلك من بيان قدرته وحكمته ورحمته ما فيه= فكيف لا يقدر أن يعرفه صدق من أرسله إليه وهذا أعظم النعم عليه والإحسان إليه والتعريف بهذا دون تعريف الإنسان ما عرفه به من أنواع العلوم؛ فإنه إذا كان هداهم إلى أن يعلم

بعضُهم صدق رسول من أرسله إليه بشرٌ مثلُه بعلاماتٍ يأتي بها الرسولُ وإن كان لم تتقدم مواطأة وموافقة بين المرسِل والمرسَل إليهم فمن هدى عباده إلى أن يُرسلوا رسولا بعلامةٍ ويعلمُ المرسَل إليه أنها علامةٌ تدل على صدقه قطعا =فكيف لا يقدر هو أن يرسل رسولا ويجعل معه علاماتٍ يعرف بها عبادُه أنه قد أرسله؟ وهذا كمن جعل غيره قديرا عليما حكيما فهو أولى أن يكون قديرا عليما حكيما فمن جعل الناس يعلمون صدق رسولٍ يُرسله بعض خلقه بعلامات يعلم بها المرسِل صدق رسولِه =فمن هدى العباد إلى هذا فهو أقدر على أن يعلمهم صدق رسوله بعلامات يعرفون بها صدقه وإن لم يكن قبل ذلك قد تقدم بينهم وبينه مواطأة

وللناس طرق في دلالة المعجزة على صدق الرسول:

طريق الحكمة وطريق القدرة وطريق العلم والضرورة وطريق سنته وعادته التي بها يعرف أيضا ما يفعل وهو جنس المواطأة وطريق العدل وطريق الرحمة وكلها طرق صحيحة وكلما كان الناس إلى الشيء أحوج كان الرب به أجود وكذلك كلما كانوا إلى بعض العلم أحوج كان به أجود فإنه سبحانه الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وهو الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى= فكيف لا يقدر أن يهدي عباده إلى أن يعلموا أن هذا رسوله، وأن ما جاء به من الآيات آيةٌ من الله، وهي شهادةٌ من الله له بصدقه، وكيف تقتضي حكمتُه أن يُسوي بين الصادق والكاذب فيؤيدَ الكاذب من آيات الصدق بمثل ما يؤيدُ به الصادق حتى لا يعرف هذا من هذا ؟! وأن يرسل رسولا يأمر الخلق بالإيمان به وطاعته ولا يجعل لهم طريقا إلى معرفة صدقه؟ وهذا كتكليفهم بما لا يقدرون عليه، وما لا يقدرون على أن يعلموه وهذا ممتنع في صفة الرب وهو منزه عنه سبحانه، فإنه لا يكلف نفسا إلا وسعها وقد عُلم من سنته وعادته أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما أيّد به الصادق قط، بل لا بد أن يفضحه ولا ينصره بل لا بد أن يهلكه، وإذا نصرَ ملكا ظالما مُسلَّطا فهو لم يدَّع النبوة ولا كذبَ عليه، بل هو ظالمٌ سلطه على ظالم كما قال تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) بخلاف من قال إنه أرسله فهذا لا يؤيده تأييدا مستمرا إلا مع الصدق، لكنه قد يمهله مدة ثم يهلكه كما فعل بمن كذب الرسل أنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا))

من كتاب النبوات

وكل رسول يأتي لقوم لابد أن تقام الحجج لهم على صدقه

ولما كان رسول الله هو الخاتمَ وجب أن يبقى ما يشهد لصدقه (لأنذركم به ومن بلغ)

وكل شخص له ما يناسبه من الحجة

- **آياتُ الأنبياء (رحمة من الله وحجة)**

وفي الحديث: "وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ" وقال الله ((رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)) وقال الله: ((وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى)) أي: لو أهلكهم الله بعذاب جزاء كفرهم

قبل أن يرسل إليهم رسولاً لقالوا: هلا أرسلت إلينا رسولا كي نعرف مرادك، ونتبع آياتك، ونسير على النهج الذي تريد؟

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنّه بلغها رسالة ربه، وأقام عليها الحجّة ((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأرض وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً)) [النساء: ٤١-٤٢].

وقال في آية أخرى: ((وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ)) [النحل: ٨٩].

ولذلك فإن الذين يكفرون بالرسل، ويعرضون عن هديهم – لا يملكون إلاّ الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا ((وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ)) [الأنبياء: ١١-١٥].

وفي يوم القيامة قال الله عن النار ((تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [الملك: ٨-١١].

تقول لهم خزنة النار: ((أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ بَلَى قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلاَلٍ)) [غافر: ٥٠]. (١)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((ما من الأنبياء من نبيٍّ ، إلا و قد أُعطَى من الآيات ما مِثلُه آمنَ عليه البشرُ ، و إنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ)) ليسَ هُناك نَبيٌّ إلَّا وَقَد أُعطيَ مِن الآيات والبينات ما يَكفي لإثبات رِسالتِه. وهذا من رحمة الله وعدله

"وإنَّما كانَ الَّذي أوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ"، أي: وإنَّما كانت آيتي العُظْمى الَّتي أعطاها اللهُ لي هي هذا الكِتابُ الباقي إلى يومِ القيامةِ.

وقولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فأرجو أن أكونَ أكْثرَهم تابِعًا، آية من آيات النُّبوَّةِ، فإنَّه أَخبَرَ عليه السَّلامُ بهذا في زَمنِ قلَّة المسلمينَ، ثُمَّ مَنَّ اللهُ تعالى وفَتَحَ على المسلمينَ البِلادَ وبارَك فيهم حتَّى انتهى الأمرُ واتَّسعَ الإسلامُ في المسلمينَ إلى هذه الغايةِ المعروفةِ.

النبوة والرسالة: إخبار و إنباء عن الله، يعني أن الله هو الذي نبأهم

وقد جاء في القرآن بيان ما بُعث به النبيّون:

قال موسى عليه السلام عن رسالته وهو ما جاءت به الرسل جميعا ((إني رسول من رب العالمين حقيق على ألا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم))، (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

وفي دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ))

والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

ولنظر على القرآن كيف ذكر عمل المرسلين (البلاغ المبين) (وما تضمنه من البشارة والنذارة والأخبار والشريعة)

قال اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))

بيان الحق في كل أمور دينهم وبراهين ذلك الحق والفرقان بين وبين الباطل (ويدخل في ذلك الصدق والأمانة والحرص والنصح والرحمة والقدوة والتذكير والتعليم والدعوة والإصلاح وغيرها.

- **أخص وصف للنبي أو الرسول هو أنه مُخبَر من الله يُوحى إليه ثم يخبر بوحي الله فهو مُخبَر ومُخبِر:**

النبيُّ: في لسان العرب مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ((عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ))

وإنّما سمّي النبي نبيّاً لأنه مُخْبَرٌ من الله أولا وهذه خاصتّه وكذلك الرسولُ، فليس مجرد كونه يُخبر عن الله جعله نبيا أو رسولا، فالعالمُ قد يُخبر عن الله، لكن المراد: أنه مُنبَّأ من الله وهذا هو الذي يجعله جاء بالهدى والحق وواجب التصديق والطاعة

وغيرُ النبي والرسولِ يخبر عن الله ولكنه قد يُخطئ وقد يُصيب ولا تجب الطاعة المطلقة له، ويجب ردُّ ما قاله إلى ما جاء به الرسولُ

وفي بيان هذه المعاني:

((قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)) وهو مُخْبَرٌ من الله وعن الله تعالى أمره ووحيه ((نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) ((وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ)) ((واتل عليهم نبأ إبراهيم))((واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق))

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ) ﴿١٠٩ يوسف﴾

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) ﴿٤٣ النحل﴾

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) ﴿١١٠ الكهف﴾

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) ﴿١٣ طه﴾

(قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) ﴿١٠٨ الأنبياء﴾

مُخْبِر، فهو مُخْبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه، وقيل: النبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أنَّ النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة وهم المصطفون الاخيار. ولكنّ المعنى الأول أقوى في الدلالة على ما يختص به النبي والرسول

والرسول: هو المبعوث بأمر ما

الإرسال في اللغة التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في أمر فهو رسولك، قالت ملكة سبأ ((وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)، وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قول العرب: (جاءت الإبلُ رَسَالاً) أي: متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى: ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا)) ، وهم مبعوثون برسالة معينة أمروا بحملها وتبليغها ومتابعتها.

قال ابن تيمية ((ولفظ النبي كلفظ الرسول هو في الأصل إنما قيل مضافا إلى الله فيقال رسول الله ثم عرف باللام فكانت اللام تعاقب الإضافة كقوله (فأرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) وقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منهم لواذا) وكذلك **اسم النبي** يقال نبي الله كما قال ((فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)) وقيل لهم ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فتقولون يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله، **ورسول فعول بمعنى مفعول أي مُرسل** فرسول الله الذي أرسله الله، فكذلك **نبي الله هو بمعنى مفعول أي مُنبأ اللهِ الذي نبأه الله** وهذا أجود من أن يقال أنه بمعنى فاعل أي مُنبِئ، فإنه إذا نبأه الله فهو نبي الله سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه، فالذي صار به النبي نبيا أن ينبئه الله وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره فإنه إذا كان الذي ينبئه الله كما أن الرسول هو الذي يرسله الله فما نبأ اللهُ حق وصدق ليس فيه كذب لا خطأ ولا عمدا وما يوحيه الشيطان هو من إيحائه ليس من إنباء الله فالذي اصطفاه الله لأنبائه وجعله نبيا له كالذي اصطفاه لرسالته وجعله رسولا له **فكما أن رسول الله لا يكون رسولا لغيره فلا يقبل أمر غير الله فكذلك نبي الله لا يكون نبيا لغير الله فلا يقبل أنباء أحد إلا أنباء الله واذا أخبر بما أنبأ الله وجب الايمان به فإنه صادق مصدوق** ليس في شيء مما أنبأه الله به شيء من وحي الشيطان وهذا بخلاف غير النبي فإنه وإن كان قد يُلهم ويحدث ويوحى اليه أشياء من الله ويكون حقا فقد يلقي إليه الشيطان أشياء ويشتبه هذا بهذا فإنه ليس نبيا لله، كما أن الذي يأمر بطاعة الله غير الرسول وإن كان أكثر ما يأمر به هو طاعة الله فقد يغلط ويأمر بغير طاعة الله بخلاف الرسول المبلغ عن الله فإنه لا يأمر إلا بطاعة الله قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليُطاع بإذن الله) فنبيُّ الله هو الذي ينبئه اللهُ لا غيره، ولهذا أوجب الله الإيمان بما أوتيه النبيون فقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) وقال تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم والآخر والملائكة والكتاب والنبيين)) انتهى

- **الوحي إلى رسل الله وأنبيائه وحي مخصوص، وليس كل من أوحي إليه من الله يكون نبيّا أو رسولا**، قال ابن تيمية ((**وليس كلُ ما أوحي إليه الوحي العام يكون نبيا** فإنه قد يوحي إلى غير الناس قال تعالى ((وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)) وقال تعالى ((وأوحى فى كل سماء أمرها)) وقال

تعالى عن يوسف وهو صغير ((فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)) وقال تعالى ((وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)) وقال تعالى ((وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى)) وقوله ((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا)) يتناول وحي الأنبياء وغيرهم كالمحدَّثين الملهمين كما في الصحيحين عن النبي ﷺأنه قال (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر منهم) وقال عبادة بن الصامت (رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في منامه) فهؤلاء المحدَّثون الملهمون المخاطبون يوحى إليهم هذا الحديث الذي هو لهم خطاب وإلهام وليسوا بأنبياء معصومين مُصدَّقين في كل ما يقع لهم؛ فإنه قد يوسوس لهم الشيطانُ بأشياء لا تكون من إيحاء الرب بل من إيحاء الشيطان، **وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء فهم الذين يفرقون بين وحي الرحمن ووحي الشيطان** فإن الشياطين أعداؤهم وهم يوحون بخلاف وحي الأنبياء قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وقال تعالى: ﴿وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)) انتهى

وأخصُّ وصف للمرسَل: الصدق والأمانة، مثل راوي الحديث أو الخبر، وأعظم.

فيقول الرسول لقومه ((إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)) فأنا مرسل من الله برسالة عليّ بلاغها وأنا أمين عليها مؤتمن لا أطلب الأجر إلا ممن أرسلني

فهمنا خبران يأتي بهم النبي: رسالةٌ ووحي، والوحي فيه أخبارٌ وشرعٌ / أمرٌ ونهي ومن صدّقه في الأولى صدقه في كل ما جاء به واللهُ سبحانه آتى كلّ نبي منهم من الآيات ما على مثله آمن البشر

فآيات الأنبياء هي كل ما يشهد لصدقهم

فكلُ ما يُبين صدقه وأمانته وصدق رسالته ويُنكر كذبه فهو برهان لنبوته ورسالته، فيكون بأمور:

- النظر على حاله وسيرته قبل البعثة
- بالنظر إلى أخلاقه
- وبالنظر في نفس الوحي بخبره وأمره
- وبالنظر لأحواله وأحوال أتباعه

والمتلقون لدعوة بني ما يختلفون

فكلما كان الإنسان أعلَمَ به وبحاله كان حكمُه عليه أقرب وأيسر

وذلك من حكمة الله ورحمته في أن يبعث الله للناس رسولا منهم يمكنهم العلم به وبحاله وبصدقه وليميزوا الصادق من المتنبئ الكاذب

ولذلك فمنهم من يصدقه فقط لعلمه بسيرته وصدقه (كخديجة رضي الله عنها) ومنهم من يعلم ذلك بقرائن لعلمه بأمور معينة كهرقل لما سال عنه وعن خلقه وما يأمر به وينهى وعن أتباعه – وكأهل الكتاب الذين كان عندهم خبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من شهد بذلك وآمن وجعل الله ذلك من آيات نبوته — وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله ووجه الاستدلال منه

قال ابن تيمية ((وهو تعالى قد ذكر في غير موضع أنه أرسل موسى بالآيات البينات فقال لما ناجاه (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا فاسقين)

وقال في سورة القصص (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين)

وقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

وقد قال تعالى لما قص قصص الرسل نوح وهود وصالح وشعيب ونصره لهم وإهلاك أعدائهم ثم ذكر الأنبياء عموما فقال: (وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) إلى قوله (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) **فقد أخبر أن أهل القرى كلهم الذين أهلكهم جاءتهم رسلهم بالبينات ولكن شابه متأخروهم متقدميهم فما كان هؤلاء ليؤمنوا بما كذب به أشباههم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين** وهذا كقوله تعالى كذلك (ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فبين سبحانه أنه بعث موسى بآياته وقال في أثناء القصة (إنى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى إسرائيل) فأخبر أنه جاء ببينة من الله أي بآية بينة من الله بدليل من الله وبرهان فهي آية منه وعلامة منه على صدقي وأني رسول منه فإن قوله: من ربكم متعلق بالرسول وبالآية يقال فلان قد جاء بعلامة من فلان فالعلامة منه والرسول منه والآية منه كما قال ((فذانك برهانان من ربك)) فدل على أن كل واحد من الرسول ومن آيات الرسول هو من الله تعالى قال له فرعون (إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين) وذكر القصة ومعارضة السحرة له إلى أن قال (فأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل إن آذن لكم أن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) فذكر السحرة أنهم آمنوا بآيات ربهم لما جاءتهم وهم من أعلم الناس بالسحر لما علموا أن هذه الآيات آيات من الله كما قال موسى (قد جئتكم ببينة من ربكم) إلى قوله (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) إلى قوله

(فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) وليس المراد بالآيات هنا كتابا منزلا فان موسى لما ذهب إلى فرعون لم تكن التوراة قد نزلت **وإنما أنزلت التوراة بعد أن غرق فرعون وخلص ببني إسرائيل فاحتاجوا إلى شريعة يعملون بها** قال تعالى: (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى) ولكن تكذيبهم بآياته إنكارهم أن تكون آية من الله وقولهم إنما سحر كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) وكانوا عنها غافلين لم يذكروها ويتأملوا ما دلت عليه من صدق موسى وأنه مرسل من الله فالتكذيب ضد التصديق، والغفلة عنها ضد النظر فيها

ولهذا قيل: النظر تجريد العقل عن الغفلات وقيل هو تحديق العقل نحو المرئي،

والأول: هو النظر الطلبي وهو طلب ما يدله على الحق، والثاني هو النظر الاستدلالي وهو النظر في الدليل الذي يوصله إلى الحق،

وهذا الثاني هو الذي يوجب العلم فذمُّهم على الغفلة عن آياته يتضمن النوعين النظر فيها والتأمل لها والتذكر لها ضد الغفلة عنها وهي آيات معينة فإذا جرد العقل عن الغفلة عنها وصدقه للنظر فيها حصل له العلم بها وقد يحصل العلم بها ولكن يمتنع عن اتباعها لهواه كما قال الله عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) فإن الحق إذا ظهر صار معلوما بالضرورة، والآيات والدلائل الظاهرة تدل على لوازمها بالضرورة لكن اتباع الهوى يصد عن التصديق بها واتباع ما أوجبه العلم بها وهذه حال عامة المكذبين مثل مكذبي محمد وموسى وغيرهما فإنهم علموا صدقهما علما يقينيا لما ظهر من آيات الصدق ودلائله الكثيرة لكن اتباع الهوى صد قال تعالى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر) ولهذا قال (وكانوا عنها غافلين) **فعلموا أنها حق وغفلوا عنها كما يغفل الإنسان عما يعلمه** ومنه الغفلة عن ذكر الله تعالى قال تعالى ((ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)) وقال تعالى ((واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياته غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكذبون) فذكر الذين هم عن آياته غافلون هنا كما ذكرهم هناك وهناك وصفهم بالتكذيب بها مع الغفلة عنها وضد الغفلة التذكر والتذكر لآياته سبحانه يوجب العلم بها وحضورها في القلب وهو موجب لاتباعها إلا أن يمنعه هوى قال تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فهو سبحانه لو علم فيهم خيرا وهو قصد الحق لأفهمهم لكنهم لا خير فيهم فلو أفهمهم لتولوا وهم معرضون وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) وقد ذكر الآيات التي هي دلائل النبوة منه في غير موضع غير ما تقدم كقوله تعالى (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فارسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى

قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله) إلى قوله عن السحرة (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات) وقال تعالى (ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم) وقال تعالى (وقالوا لو لا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) فالآيات التي هي دلائل النبوة وبراهينها هي آيات من الله وعلامات منه أنه أرسل الرسول وكما أن الآيات التي هي كلامه تتضمن إخباره لعباده وأمره ففيها الإعلام والالزام فكذلك دلائل النبوة هي آيات منه تتضمن إخباره لعباده بأن هذا رسوله وأمره لهم بطاعته ففيها الإعلام والإلزام **وكما أن آياته القولية زعم المكذبون أنها ليست كلامه ولا منه بل هي من قول البشر وزعموا أن الرسول افتراها أو من معه أو تعلمها من غيره فكذلك الآيات الفعلية زعم المكذبون أنها ليست آية منه وعلامة ودلالة منه على أن الرسول ورسوله بل مما يفعله الرسول فيكذب وهذه من فعل المخلوقين لكنها عجيبة** فهي سِحر سَحَر بها الناس

.....ثم قال: ((قالوا ليست آية من الله بل هي سحر من عندك، وهم وإن كانوا قد يعلمون أن الله خالق كل شيء ففرّقٌ بين ما يفعله البشر ويتوصلون إليه بالاكتساب وبين ما لا قدرة لهم على التوصل إليه بسبب من الأسباب، وفرق بين ما قد علموا أنه يخلقه لغير تصديق الرسل كالسحر، فإنه لم يزل معروفا في بني آدم فقد علموا أنه لا يخلقه آية وعلامة لنبي اذ كان موجودا لغير الأنبياء معتادا منهم، وإن كان عجيبا خارجا عن العادة عند من لم يعرفه، بل كان المكذبون يطالبون الرسل بالآيات كقول فرعون (فأت بآية إن كنت من الصادقين) وقول قوم صالح له (إنما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين) وكانت الأنبياء تأتي بالآيات وهي آيات بينات فيكذبون بها كما يكذب المعاند بالحق الظاهر المعلوم كما قال فرعون إنه ساحر ولما غلب السحرة وآمنوا واعترفوا بأن هذه آية من الله قال لهم فرعون (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) و (إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها) وهذا كذب ظاهر فإن موسى جاء من الشام ولم يجتمع بالسحرة إنما فرعون جمعهم ولم يكن دينُ موسى دينَ السحرة ولا مقصوده مقصودَهم بل هم وهو في غاية التعادي والتباين وكذلك سائر السحرة والكهنة مع الأنبياء من أعظم الناس ذما لهم وأمرا بقتلهم مع تصديق الأنبياء بعضهم ببعض وإيجاب بعضهم الايمان ببعض وهم يأمرون بقتل من يكذب نبيا ويأمرون بقتل السحرة ومن آمن بهم والسحرة يذم بعضهم بعضا والأنبياء يصدق بعضهم بعضا وهؤلاء يأمرون بعبادة الله وحده والصدق والعدل ويتبرءون من الشرك وأهله، وهؤلاء يحبون أهل الشرك ويوالونهم ويبغضون أهل التوحيد والعدل، فهذان جنسان متعاديان كتعادي الملائكة والشياطين كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) **فمن جعل النبي ساحرا أو مجنونا هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبيا وهذا من أعظم الفرية والتسوية بين الاضداد المختلفة وهو شر من قول من يجعل**

العاقل مجنونا والمجنون عاقلا أو يجعل الجاهل عالما والعالم جاهلا فإن الفرق بين النبي وبين الساحر والمجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون والعالم والجاهل وموسى صلوات الله عليه أمر بتصديق من يأتي بعده من الأنبياء الصادقين كما أمر بتكذيب الكذابين، وأما السحرة فإنه أمر بقتلهم وفي التوراة (سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك أجعل كلامي على فمه كلكم يسمعون {قلت: في وفي الطبعة الموجودة للكتاب المقدس عندهم: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون ... قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به أخي أنا أطالبه ... ". الكتاب المقدس عندهم، سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر }

قال ابن تيمية: (وهذا يقتضي طاعة من يقوم بعده من الأنبياء، ثم من الناس من يُعين هذا فاليهود يقولون هو يوشع والنصارى يقولون هو المسيح وبعض المسلمين يقولون هو محمد صلى الله عليه و سلم يحتجون على ذلك بحجج كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع ومنهم من يقول بل هذا اسم جنس وهو عام في كل نبي يأتي بعده لئلا يكذبوه كما فعلت اليهود وانكروا النسخ وهذا القول أقرب فيدخل في هذا المسيح ومحمد ومن قبلهما من أنبياء بني إسرائيل **فان المقصود أمرهم بتصديق الأنبياء وطاعتهم وأن الله سبحانه ينزل على الأنبياء كلامه** فالذي يقولونه هو كلام الله ما سمعوا منه وبسط هذا له موضع آخر)) من كتاب النبوات

وقال رحمه الله: ((وقد بسط القول في أن الناس يعلمون بالضرورة أن الآيات التي يأتي بها الأنبياء آيات من الله وعلامة أعلمَ بها عباده أنه أرسلهم وأمرهم بطاعتهم.

والذين كذبوا بها كانوا يقولون: ليست من الله بل هي سحر أو كهانة أو نحو ذلك. لا يقرون بأنها آية من الله ويقولون مع ذلك قد يخلقها الله لغير التصديق أو يخلقها ليضل بها الخلق أو نحو ذلك .. والمقصود هنا أن الرسول بين للناس الادلة والبراهين الدالة على أصول الدين كلها كما قد ذكر سبحانه هذا في مواضع كقوله (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله) وقوله (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ومن ذلك قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وقد وصف الرسولَ بذلك في مواضع فذكر هذا في البقرة في دعوة إبراهيم، وفي قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وفي قوله (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) **وهنا لم يذكر يتلو عليهم آياته ويزكيهم لحكمة تختص بذلك** وذكر هذا في آل عمران في قوله ((لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)) وقد قال ((واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة)) وهذا شبه الموضع الثالث في البقرة فأخبر في غير موضع عن الرسول أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فالتلاوة والتزكية عامة لجميع المؤمنين فتلاوة الآيات يحصل بها العلم فإن الآيات هي العلامات والدلالات فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب من تصديق الرسول فيما أخبر والإقرار بوجوب طاعته وأما

التزكية فهي تحصل بطاعته فيما يأمرهم به من عبادة الله وحده وطاعته فالتزكية تكون بطاعةٍ مرة كما أن تلاوة آياته يحصل بها العلم وسميت آيات القرآن آيات وقيل: إنها آيات الله كقوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) لأنها علامات ودلالات على الله، وعلى ما أراد فهي تدل على ما أخبر به وعلى ما أمر به ونهى عنه وتدل أيضا على أن الرسول صادق إذ كانت مما لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثلها وقد تحداهم بذلك كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع وأيضا فهي نفسها فيها من بينات الأدلة والبراهين ما يبين الحق فهي آيات من وجوه متعددة ثم قال ويعلمهم الكتاب والحكمة وهذا لمن يعلم ذلك منهم وقد يتعلم الشخص منهم بعض الكتاب والحكمة فالكتاب هو الكلام المنزل الذي يُكتب، **والحكمة هي السنة وهي معرفة الدين والعمل به**، وقد قال تعالى: (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال تعالى (واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا) ففرّق بين الآيات الدالة على العلم التي يعلم بالعقل أنها دلائل للرب، وبين النذر: وهو الإخبار عن المخوف كإخبار الأنبياء بما يستحقه العصاة من العذاب فهذا يُعلم بالخبر والنذر ولهذا قال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وأما الآيات فتُعلم دلالتها بالعقل، والأنبياء جاءوا بالآيات والنذر وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) وقال تعالى (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) ومثل هذا كثير يذكر أن جميع الأنبياء جاءوا بالآيات التي تعلم دلالتها بالعقل........ وقد ذكر الله تعالى في القرآن الحجة على من أنكر قدرته وعلى من أنكر حكمته فأول ما أنزل الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فذكر أنه الأكرم وهو أبلغ من الكريم وهو المحسن غاية الإحسان، ومن كرمه أنه علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، فعلّمه العلوم بقلبه، والتعبير عنها بلسانه، وأن يكتب ذلك بالقلم فذكر التعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق وعبارة المعاني والعلوم فإذا كان قد علمه هذه العلوم فكيف يمتنع عليه أن يعلمه ما يأمره به وما يخبره به وبيان ذلك أنه قال في أول السورة (اقرأ باسم بك الذى خلق خلق الإنسان من علق) ومعلوم أن من رأى العلقة قطعة من دم فقيل له هذه العلقة يصير منها إنسان يعلم كذا وكذا لكان يتعجبُ من هذا غاية التعجب وينكره أعظم الإنكار، ومعلوم أن نقل الإنسان من كونه علقة إلى أن يصير إنسانا عالما قادرا كاتبا أعظم من جعل مثل هذا الإنسان يعلم ما أمر الله به وما أخبر به فمن قدر على أن ينقله من الصغر إلى أن يجعله عالما قارئا كاتبا كان أن يقدر على جعله عالما بما أمر به وبما أخبر به أولى وأحرى وهذا كما استدل على قدرته على إعادة الخلق بقدرته على الابتداء وقد أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم تعجبوا من التوحيد ومن النبوة ومن المعاد فقال تعالى: (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا أن هذا لشىء عجاب) فذكر تعجبهم من التوحيد والنبوة وقال تعالى: ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ وهذا أيضا تعجب من أن أرسل اليهم رجلا منهم وقوله (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) دل على أنه منذر لجنس الناس وأنه من جنس الناس لا يختص به العرب دون غيرهم، وإن كان أول ما أرسل إليهم وبلسانهم وقال تعالى: (ق والقران المجيد بل عجبوا

أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) وقال تعالى: وإن تعجب فعجب قولهم ءإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى: (بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون) فالرسول كان يعجب من تكذيبهم لما جاءهم به من آيات الأنبياء وهم يعجبون مما جاء به لكونه خارجا عما اعتادوه من النظائر فإنهم لم يعرفوا قبل مجيئه لا توحيدا ولا نبوة ولا معادا، قال (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) وأما حكمتُه في إرسال بشر فقد ذكر أنه من جنسهم وأنه بلسانهم فهو أتم في الحكمة والرحمة وذكر أنهم لا يمكنهم الأخذ عن الملك، وأنه لو نزل ملكا لكان يجعله في صورة بشر ليأخذوا عنه ولهذا لم يكن البشر يرون الملائكة إلا في صورة الآدميين كما كان جبريل يأتي في صورة دحية الكلبي وكما أتى مرة في صورة أعرابي ولما جاءوا إبراهيم وامرأته حاضرة كانوا في صورة بشر وبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قال تعالى: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)) النبوات

- **آيات الله في الوحي وخلقه والنبوة** سُميت : ((آيات)) كما في حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا مِنَ الأنبياء مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ". ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) و((حُججا)) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ و ويعني بـ" البالغة "، أنها تبلغ مراده في ثبوتها على مَنْ احتج بها عليه من خلقه، وقَطْع عُذْرِهِ إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجة فيه و((العلم)) ((قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)) فسمّى ما دون العلم خرصًا وظنًا وهوى.

((هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ)) ((براهين)).. وعن ايتي موسى ((فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ)) العصا واليد آيتان. تبيانان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه، حجة عليهم، ودلالة على صدق نبوّتك يا موسى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)) ((وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) البرهان هو الحجة كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: والصدقة برهان أي حجة على صدق إيمان صاحبها يوم القيامة، و ((سلطانا)) ((أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥))) وفي قوله ((أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)) يقول: ببينة أعذره بها، وهو مثل قوله: ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ)) أي: بغير بينة. .و ((بصائر)) ((قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا))

والبصائر: الحُجج الظاهرة جاءتكم من عند الله



((وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا))

وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البيّنة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: ((هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)) لم يعتبروا بها

وقال الله ((قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ))

" فمن أبصر فلنفسه " يقول: فمن تبين حجج الله وعرَفها وأقرَّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بَغَى الخير" ومن عمي فعليها "، يقول: ومن لم يستدلّ بها، ولم يصدق بما دلَّته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها، يقول: فنفسَه ضر، وإليها أساء لا إلى غيرها .

و ((بينات)) ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)) ومنه قول موسى عليه السلام ((حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إسرائيل)) وفي بيان ما أنزل له الوحي

((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ))

ومنه: ((قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ)) حُجة قاطعة على صدقي.

((سَلْ بَنِي إسرائيل كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) الحُجة الظاهرة

وهذه الألفاظ جميعها أبلغ في الدلالة على معنى الاحتجاج والظهور والبيان بينما لفظ الدلالة أو المعجزة يتضمن معنى الإرشاد والهداية

وفيها معنى القوة والوضوح والبيان

- **الآيات كما أنها من الله فالإيمان بها كذلك بإذن الله**، وليس كل من ظهرت له آمن بها وأبصرها قال الله ((قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (١٠٥) ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (١٠٦) وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٠٨) وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ (١١٠) ۞وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ)

- **يذكر الله تعالى أنه يبين آياته للناس عموما وأحيانا يخص بعضهم**، فالله يبينها للناس هذا من رحمته وعدله وحُجته، ليتفكروا وليتقوا ويهتدوا (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)، يتذكرون (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١))، تعقلون (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) والذي تحقق منه ذلك فهو المنتفع بها فلا ينتفع بها إلا أهل العلم والتقوى والتذكُّر واليقين أما غيرهم فلا تنفعهم الآيات

((وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))

وقال تعالى: ((فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون))

فهو ذكر للعالمين لمن طلب الاستقامة منهم ونفس مشيئة العبد للاستقامة هي من الله ((هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣ الأعراف﴾ ((بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) ﴿٤٣ القصص﴾

((هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) ﴿٢٠ الجاثية﴾ ((وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ))

وهذا موضع جامع لصفات المنتفعين بآيات الله

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرض بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرض إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))

((قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) وسياتي مزيد بيان إن شاء الله لأمر متعلق بهذا الأمر

ولننظر في سورة الشعراء ((طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأرض كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))

عزيز غني عن عباده ورحيم بهم جعل لهم آيات لكنهم هم الذين يعرضون

ثم ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم آيات موسى وتكذيب فرعون وملئه.. قصة إبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وتختم القصص بذلك ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))

ثم ذكر آية القرآن وأنه من عند الله

((وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) وبيّن أنه لا تستطيعه الشياطين كما تزعم قريش بيّن أن الذي ينطق بوحي الشيطان هم الكفار: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)

كما قال: ﴿فستُبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ يعني الشيطان، وقال ((وما هو بقول شيطان رجيم))

- **آيات الأنبياء من الله تعالى**

وليست مكتسبة ولا يقدر عليها النبي من نفسه، بل هي من عند الله (قل إنما الآيات عند الله) (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأرض أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

القول في تأويل قوله: ((وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأرض أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ))

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن كان عظم عليك، يا محمد، إعراض هؤلاء المشركين عنك، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتُك به فشقَّ ذلك عليك، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم =" فإن استطعت أن تبتغي نفقًا في الأرض " ، يقول: فإن استطعت أن تتَّخذ سَرَبا في الأرض مثلَ نَافِقاء اليَرْبُوع، وهي أحد جِحَرتِه فتذهب فيه =" أو سُلمًا في السماء " ، يقول: أو مصعدًا تصعد فيه، كالدَّرَج وما أشبهها

=" فتأتيهم بآية " منها = يعني بعلامةٍ وبرهان على صحة قولك، غير الذي أتيتك = فافعل.

•**آيات الأنبياء ترجع إلى أنواع منها (العلم والقدرة) وغير ذلك** ويدخل في العلم: الإخبار بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه.

((تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا)) ((مجموع الفتاوى)) ١١/٢٩٨-٢٩٩. وانظر قاعدة في المعجزات ص ٩. وانظر كتاب الصفدية ١/١٨٣، فإنه جعل الخوارق ثلاثة أقسام. وقد أفاض المؤلف رحمه الله في ذكر أقسام آيات الأنبياء بالتفصيل. انظر: الجواب الصحيح ٦/٨٠-٢٩٦.

•**آيات الأنبياء مختصة بهم لا يشركهم فيها غيرهم فلا يقدر عليها لا الإنس ولا الجن ولا يقدر أحد منهم على معارضتها وإلا لما كانت برهانا للنبوة لأن الرسل بُعثوا إلى الجن والإنس** (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ))

قال ابن تيمية رحمه الله عن معنى آيات الأنبياء: ((وهي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم. الدليل مستلزم للمدلول، والدليل لا يكون إلاَّ مستلزما للمدلول عليه مختصاً به، لا يكون مشتركاً بينه وبين غيره؛ فإنّه يلزم من تحقّقه تحقّق المدلول. وإذا [انتفى] المدلول انتفى هو؛ فما يوجد مع وجود الشيء، ومع عدمه، لا يكون دليلاً عليه، بل الدليل ما لا يكون إلاَّ مع وجوده. فما وُجد مع النبوّة تارةً، ومع عدم النبوّة تارةً، لم يكن دليلاً على النبوّة، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها)) وقال: ((فما اختصّ به النبيّ من العلم خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ، وما اختصّ به من المقدورات خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ.))

يعني لابد أن تكون آياتُ الأنبياء الخاصة بهم غيرَ معتادة أو مقدورة للإنس والجن

- أخطاء لبعض من تكلّم في آيات الأنبياء (وأصل الغلط هو ترك الاهتداء بالقرآن والسنة في هذا الباب وغيره وتلقي ما اشتهر في كتب المتأخرين أو على ألسنة الخطباء) (فأخطأوا في الاسم والمناط والشروط ..) وأمور أخرى

فسمَّوا آيات الأنبياء (المعجزة) وجعلوا خاصتها مجرد كونها حارقة للعادة) أو أن تكون مصحوبة بدعوى النبوة أو بالتحدي أو تُعارَض وتسلم من المعارضة أو أن تكون مما برع فيه القوم

فأقول: بدايةً معرفة أي ضابط لأي أمر هو استقراء الصور والأمثلة الواقعة للخروج بقاعدة كلية أو ضابط أو شرط أو لازم

وشرطه: ألا توجد آية إلا وهو متحقق فيها، فلو وجدت آية وليس فيها فليس شرطا ولا لازما ولا ضابطا

الضابط الصحيح قطعا لكل آية هو (ما على مثله آمن البشر) ثم قد يكون مع ذلك معه تحد لسبب، أو دعوى نبوة، أو مما اشتهر في عصر وبيئة ذلك النبي أو تحصل معارضة ويسلم منها .. قد يحصل شيء من ذلك لكنه ليس لازما ولا ضابطا ولا شرطا

فأولا: عن خرق العادة: (انتشر أن الآية تسمى بالمعجزة وأنها هي: أمر خارق للعادة يظهر على يد مدّعي النبوة) وهذا غلط من جهات:

أولا التسمية (وسبق بيان الاسم الشرعي لما أيّد الله به رسله وجعله آية لهم (آية– برهان–بينة– بصائر–حجة– سلطان)

ثانيا: آيات الأنبياء لا تنحصر في الأمور الخارقة للعادة بل هي كل ما يشهد لصدقهم (ما مثله آمن عليه البشر) فيعلم من سيرتهم وأخلاقهم ونفس ما يدعون إليه وغير ذلك

ثالثا: خرق العادة هو شرط في كثير من الآيات وليس مناطا، ولا يصلح أن يكون مناطا

فأفعال الكهان والسحرة والأطباء وغيرهم يأتون بأشياء معتادة لهم لكنها غير معتادة ولا مقدورة لغيرهم. وكل بارعٍ في أي باب أو فن يقوم بأشياء لا يقدر عليها من هم خارج اختصاصه، وليس ذلك برهانا على نبوته

والعادة تختلف من مكان لآخر فالعادة لا تنضبط، فكون الشيء معتادا أو غيرَ معتاد أمرٌ نسبي

ومن أتى من الأطباء أو السحرة أو العلماء بما لا يقدر عليه البشر تعلّمه هو بالسماع أو بالتأمل أو التجربة أو قياس أو مقدمات معينة فهو أمر مكتسب لكنّ آيات الأنبياء مختصة بهم وهي من عند الله لا يقدرون عليها من أنفسهم

قال ابن تيمية يذكر اصل خطأ من أخطأ هنا فقال: ((جعلوا مجرّد كونه خارقاً للعادة هو الوصف المعتبر!.

وفرقٌ بين أن يقال: لا بدّ أن يكون خارقاً للعادة، وبين أن يقال: كونه خارقاً للعادة هو المؤثّر؛ فإنّ الأول يجعله شرطاً لا موجباً، والثاني يجعله موجباً.وفرقٌ بين أن يقال: العلم، والبيان، وقراءة القرآن، لا يكون إلاَّ من حيّ، وبين أن يقال: كونه حيّاً يُوجب أن يكون عالماً قارئاً.

ومن هنا دخل الغلط على هؤلاء. ليس في الكتاب والسنة لفظ المعجزة وخرق العادة وليس في الكتاب والسنة تعليق الحكم بهذا الوصف، بل ولا ذكر خرق العادة، ولا لفظ المعجز، وإنّما فيه آيات وبراهين، وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء)) النبوات له

وقال ((وهذه الألفاظ إذا سمّيت بها آيات الأنبياء كانت أدلّ على المقصود من لفظ المعجزات. ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) ، و (البينة) ، و (البرهان) ؛ كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ..} . [سورة القصص ٣٢] في العصا، واليد. وقال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً} . [سورة النساء، آية ١٧٤] .....) .

ثمّ ذكر رحمه الله الآيات القرآنية الدالّة على أنّ الآيات النبوية تُسمّى براهين، ثمّ قال رحمه الله: (وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن) ... ثمّ استشهد بآيات كثيرة، منها قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}

انظر الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ٥/٤١٢-٤١٩. وانظر قاعدة في المعجزات والكرامات لشيخ الإسلام رحمه الله ص ٧.

فالأصح أنه ليس مجرد كونها خارقة للعادة أو سالمة من المعارَضة موجبا أن تكون آيةً للأنبياء

ولا يشترط أن يصاحبها دعوى النبوة

ولا يُشترط فيها التحدّي

قال ابن تيمية رحمه الله: ((والتحدي هو أن يحدوهم؛ أي يدعوهم، فيبعثهم إلى أن يُعارضوه، فيُقال فيه: حداني على هذا الأمر؛ أي بعثني عليه. ومنه سمّي حادي العيس؛ لأنه بحداه يبعثها على السير.

وقد يُريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة، ولكنه أصله الأول. قال تعالى في سورة الطور: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} ". الجواب الصحيح ٥/٤٢٢-٤٢٣.

قلت: وفي رأيي لم يأت آيةٌ من آيات رسل الله للتحدي ابتداء بل هي آية للنبي، لكن قد يُدّعى أنها ليست من الله أو يقدر عليها البشر أو افتراها الرسول فحينها يقال لهم ايتوا بمثله ((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) وقال تعالى ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ

اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) فلفظ (التحدّي) ليس دقيقا وهو لم يأت في نص واحد، بل فُهم من بعض المواضع، وهذا ليس تحديا بل هو بيان لتكذيب من ادّعى أنه قول البشر بإثبات أنه لا يقدر فيستدل به على أنه من عند الله

ونفسُ بيان أن القرآن من عند الله هو بيان أنه لا يستطيعه الإنس والجن كما في قوله تعالى ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))

فكل آيات الله ومنها القرآن العظيم هي حجة ورحمة وإنما قد يصاحب آيةً منها أمر لحكمة ومناسبة فلا يصح لا أن يكون سمة لها ولا لكل آية

فالقرآن الكريم نور ورحمة وحجة وبينات ومن عند الله ولا يأتي بمثله لا الجن ولا الإنس

فأرى والله أعلم عدم استعمال اللفظ

فآيات الأنبياء أدلة والدليل دليل على ما دلّ عليه سواء استُدل به أو لا أو تحدّى به أو لا فيخطئ من يجعل من شرط الآية: دعوى النبوة أو التحدي بها ولا تعليق إيمان الناس عليها، كل هذه أمور قد تصاحب بعض الآيات لغرض ومناسبة لا لأنها شرط فيها! وقد حصلت آيات للأنبياء على نبوتهم ولم يقترن بها شيء من ذلك

ولا يلزم أن يقترن بها دعوى النبوة ولا أن يُعلّق عليها الإيمان فآية نوح جاءت بعد أن قال الله له (لن يؤمن من قومك إلا من آمن))

وكثير من آيات النبي محمد صلى الله عليها وسلم لم يقترن بها دعوى النبوة .... مثل ما حدث في غزوة الحديبية؛ حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الإناء، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما – وهو راوي الحديث: "فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال فشربنا. قال الراوي: فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ، قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة".

أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٢٦/٤، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية.

وقد ذكر أنس بن مالك – رضي الله عنه – قصة أخرى في نبع الماء من بين أصابع نبيّنا صلى الله عليه وسلم. فعنه – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بماء، فأُتي بقدح رحراح، فجعل القوم يتوضؤون، فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين، قال: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه.

صحيح مسلم ١٧٨٣/٤ وغيرها كثير وكل هذه من آياته ولم يقترن بها تحدٍّ او دعوى النبوة

أما عن الخوارق:

والناس يعلمون أن للسحرة والكهان خوارقَ لذلك كانوا حينما يطعنون في رسالة رسول يرمونه بالسحر قال تعالى عن كُفّار العرب: {وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ}.

وإن نسبوه إلى عدم العلم، قالوا: مجنونٌ؛ كما قالوا عن نوح: {مَجْنُونٌ وَازْدُجِر} ٣، وقالوا عن موسى: {قال إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون} ٤، وقال عن مشركي العرب: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُون}.

وقد قال تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون}

فالسحر أمرٌ معتادٌ في بني آدم، كما أنّ النبوّة معتادةٌ فيهم. كما أنّ العقلاء معتادون في بني آدم، والمجانين معتادون فيهم.

فإذا قالوا عن الشخص: إنّه مجنون؛ فإنّه يُعلم هل هو من العقلاء أو من المجانين بنفس ما يقوله ويفعله. وكذلك يُعرف هل هو من جنس الأنبياء، أو من جنس السحرة.

قال الله ((كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ))

قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غنه شاعر: {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}.

وقالوا في رسول الله إنه كاهن لأن الكاهن عند العرب من يخبر بالغيب بطريقة السجع، وشبهة الشعر أنّ القرآن كلام موزون، والشعر موزون.

وشبهة الكهانة أنّ الكاهن يُخبر ببعض الأمور الغائبة؛ فَذَكَرَ الله تعالى الفرق بين هذين، وبين النبيّ، فقال: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون} ، ثمّ قال: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُون أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً} ، {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} ، وقال تعالى: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ لا بِقَولِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِين}

((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)) ، أي لست بحمد اللّه بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، فالكاهن والساحر يستعينان بالشياطين كما قال تعالى ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ)) ولا يُفلح الساحر حيث أتى، لذلك فالساحر قدرته محدودة لأنه لا يتجاوز قدرة الشياطين ، وخوارق السحرة والكهان يمكن معارضتها وإبطالُها من سحرة مثلهم أو من غير السحرة ،كما قال موسى للسحرة ((فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)) بخلاف آيات الأنبياء فلا يمكن إبطالها ولا معارضتها

وقد عُلِم ببرهان العقل، مع ما جاء عن الأنبياء أنّهم حرّموا الشّرك. فمتى كان الرجل يأمر بالشرك، وعبادة غير الله، أو يستعين على مطالبه بهذا، وبالكذب، والفواحش، والظلم، عُلِم قطعاً أنّه من السحرة، لا من الأنبياء.

والذي نظر في رسل الله تعالى سيرتهم وآياتهم يعلم صدقهم وكذبَ من رماهم بالجنون أو السحر أو الكِهانة أو الشعر أو السفاهة بل هم أزكى الناس وأعلمهم ولابد أن يقيم الله تعالى البينات على صدقهم وكذب من رماهم بالسوء وكذب المتنبئين. وبيّن سبحانه على من تنزّل الشياطين

فائدة:

قال ابن تيمية رحمه الله: (وما يُوجد في القرآن من مثل قوله: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} ، و {إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ} ، ونحو ذلك، فلم يتكلّف لأجل التجانس، بل هذا غير مقصود بالقصد الأول؛ كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر، ولم يقصد به الشعر؛ كقوله تعالى: {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} ، وقوله: {نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ، {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}، ونحو ذلك). منهاج السنة النبوية ٣/٥٣-٥٤. وانظر: الجواب الصحيح ٥/٤٣٣.

الخلاصة: أن آيات الأنبياء حجة من الله ورحمة لعبادة فهي بيّنة ومُبصرة وآية من الله فلا تلتبس على الناس تلك الأمور ولتكون مُبصرةً أي مُضيئة واضحة الدلالة على أنها من الله فلابد أن يكون من أعظم الفرقان في بيان الله: الفرقان بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان والمتنبئين

فالتمييز بين الساحر والكاهن والمتنبئ وبين النبي الصادق يُعلم بالنظر لسيرة كل منهم وأخلاقه وآياته ونفس ما يأمر به ويدعو إليه وغير ذلك مما يُعلم به الفرقان بينهما. فالساحر وأمثاله يستعينون بالشياطين والشرك ويدعون على الظلم والفساد والشرك بالله، ويمكن معارضة ما جاءوا به وإبطاله

والأنبياء آياتهم من الله وتُعينهم الملائكة ويستعينون بالعمل الصالح ويدعون إلى العدل والصلاح وإخلاص الدين لله، ولا تُبطَلُ آياتُهم ولا تُعارَض

قال ابن تيمية: ((جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر، بل وعن مقدور جنس الحيوان. وأمّا خوارق مخالفيهم؛ كالسحرة، والكُهّان؛ فإنّها من جنس أفعال الحيوان؛ من الإنس، وغيره من الحيوان، والجنّ؛ مثل قتل الساحر، وتمريضه لغيره؛ فهذا أمرٌ مقدورٌ، معروفٌ للنّاس بالسّحر، وغير السّحر؛ وكذلك ركوب المكنسة، أو الخابية، أو غير ذلك؛ حتّى تطير به، وطيرانه في الهواء من بلد إلى بلد؛ هذا فعلٌ مقدورٌ للحيوان؛ فإنّ الطير [يفعل] ذلك، والجنّ تفعل ذلك. وقد أخبر الله أنّ العفريت قال لسليمان: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} ؛ وهذا تصرّف في أعراض٥ الحيّ؛ فإنّ الموت، والمرض، والحركة أعراضٌ، والحيوان يقبل في العادة مثل هذه الأعراض، ليس في هذا قلب جنس إلى جنس، ولا في هذا ما يختصّ الربّ بالقدرة عليه، ولا ما يختصّ به الملائكة، وكذلك إحضار ما يُحضر من طعامٍ، أو نفقة، أو ثياب، أو غير ذلك من الغيب. [و] هذا [إنّما هو] نقل مالٍ من مكانٍ إلى مكانٍ. وهذا تفعله الإنس والجنّ، لكن الجنّ تفعله، والنّاس لا يُبصرون ذلك. وهذا بخلاف كون الماء القليل نفسه يفيض حتى يصير كثيراً، بأن ينبع من بين الأصابع من غير زيادة يُزادها. فهذا لا يقدر عليه إنسيّ ولا جنّي، وكذلك الإخبار ببعض الأمور الغائبة، مع الكذب في بعض

الأخبار. فهذا تفعله الجن / كثيراً مع الكُهّان، وهو معتادٌ لهم، مقدورٌ، بخلاف إخبارهم بما يأكلون، وما يدّخرون، مع تسمية الله على ذلك؛ فهذا لا تظهر عليه الشياطين، وبنو إسرائيل كانوا مسلمين يسمّون الله

وأيضاً: فخبر المسيح، وغيره من الأنبياء ليس فيه كذب قط. والكهان لا بُدّ لهم من الكذب. والربُّ قد أخبر في القرآن أنّ الشياطين [تنزل] على بعض الناس، فتخبره ببعض الأمور الغائبة، لكن ذكر الفَرْقَ، فقال: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ}

وكذلك مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ ليريه الربّ من آياته. فخاصّة الرسول ليست مجرّد قطع هذه المسافة، بل قطعها ليريه الربّ من الآيات الغائبة ما يُخبر به. فهذا لا يقدر عليه الجنّ، وهو نفسه لم يحتجّ بالمسرى على نبوته، بل جعله مما يؤمن به؛ فأخبرهم به ليؤمنوا به، والمقصود إيمانهم بما أخبرهم من الغيب الذي رآه تلك الليلة، وإلاّ فهم كانوا يعرفون المسجد الأقصى، ولهذا قال: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}

قال ابن عباس [رضي الله عنه] هي رؤيا عين أُريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به. وهذا كما قال في الآية: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.

وكذلك ما يُخبر به الرسول من أنباء الغيب؛ قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدَاً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدَاً} . فهذا غيبُ الربُّ الذي اختص به؛ مثل علمه بما سيكون من تفصيل الأمور الكبار على وجه الصدق، فإنّ هذا لا يقدر عليه إلا الله.

الجنّ غايتها أن تخبر ببعض الأمور المستقبلة؛ كالذي يسترقه الجن من السماء، مع ما في الجنّ من الكذب، فلا بُدّ لهم من الكذب، والذي يخبرون به هو ممّا يُعلم بالمنامات وغير المنامات، فهو من جنس المعتاد للناس وأما ما يخبر الرسل من الأمور البعيدة الكبيرة مفصلاً؛ مثل إخباره: "إنكم تقاتلون الترك، صغار الأعين، ذُلْفُ الآنُفِ١، ينتعلون الشعر، كأنّ وجوههم المِجَانُّ المطرَقَة، وقوله: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيء لها أعناق الإبل ببُصرى، ونحو ذلك. فهذا لا يقدر عليه جني، ولا إنسيّ والمقصود أنّ ما يُخبر به غير النبي من الغيب معتادٌ، معروفٌ نظيره من الجن والإنس، فهو من غيب الله الذي قال فيه: {فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدَاً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ})) النبوات لابن تيمية

ولكن آيات الأنبياء معتادة للأنبياء، مثل: إحياء الموتى حصلت لأكثر من نبي

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) البقرة/ ٢٤٣ .

وقال تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة/ ٢٥٩.

قال ابن تيمية رحمه الله:

"معلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى، فضلا عن الحواريين، فإن أعظم آيات المسيح عليه السلام إحياء الموتى، وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس وغيره.

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم: أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى، وموسى بن عمران: من جملة آياته العصا، التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا، حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا، ثم يمسكها فتعود عصا. ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره، وهي أعظم من إحياء الموتى، فإن الإنسان كانت فيه الحياة، فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول، والله تعالى يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهم، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا. وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا، ثم تعود خشبة، مرة بعد مرة، وتبتلع الحبال والعصي، فهذا أعجب من حياة الميت. وأيضا: فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل، أعظم ممن أحياهم على يد المسيح، قال تعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) [البقرة: ٥٥ – ٥٦].

وقال تعالى: (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى) [البقرة: ٧٣] انتهى من "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (١٧/٤-١٩) .

وقال رحمه الله في كتاب "النبوات" (٢/ ٨٠٧): " والآيات التي يبعث الله بها أنبياء، قد يكون مثلها لأنبياء أُخَر؛ مثل إحياء الموتى؛ فقد كان لغير واحد من الأنبياء.

وقد يكون إحياء الموتى على يد اتباع الأنبياء؛ كما قد وقع لطائفة من هذه الأمة، ومن أتباع عيسى؛ فإن هؤلاء يقولون: نحن إنّما أحيي الله الموتى على أيدينا؛ [لاتّباع محمد، أو المسيح، فبإيماننا بهم، وتصديقنا لهم أحيي الله الموتى على أيدينا] ، فكان إحياء الموتى مستلزماً [لصدق] عيسى، و[محمّدٍ] ، لم يكن قطّ مع تكذيبهما، فصار آية لنبوّتهم، وهو أيضاً آية لنبوّة موسى، وغيره من أنبياء بني [إسرائيل] الذين أحيي الله الموتى على أيديهم" انتهى.

وقال رحمه الله: (وأما معجزات عيسى، عليه السلام، فمنها إحياء الموتى، وللنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كثير، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت، وقد كلم النبي صلى الله عليه وسلم الذراع المسمومة، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت من وجوه...)

وبعضها لا نظير له كالقرآن، وناقة صالح، وعصا موسى

وهل يقال عن آيات الأنبياء إنها لا تقدر عليه الملائكة؟ فالأنبياء لا تدعوا الملائكة للإيمان بها، وقُدرات الملائكة هي تأييد لرسل الله تعالى وهم الذين ينزلون بالوحي وقد كذّب اللهُ من زعم أن القرآن تتنزل به الشياطين قال الله: ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ))

مثال لآيات الأنبياء

ولننظرْ في القرآن في ذكر إرسال موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وملئه:

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾

فهنا: الله سبحانه وتعالى بيّن أنه اختار موسى وأوحى إليه وبيّن له آياته ليعلم هو أولا أنها من الله (لنريك من آياتنا الكبرى) ثم أمره بالذهاب إلى فرعون لدعوته وبيّن أن الآية برهان صدقه والمراد منه التذكرة لعله يتذكر أو يخشى، قال تعالى:

(اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسرائيل وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))

(فلنأتينك بسحر مثله) أراد فرعون أن ينفي اختصاص موسى بهذا الأمر الذي جعله حجة على أنه مبعوث من الله فقال له: هذا يفعله السحرة فغايتُك أنك ساحر فلما جاء السحرة وظنوا موسى وأخاه مجرد ساحريْن، وقد جاءوا بسحر وصفه الله بأنه عظيم حتى أن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة وخُيّل إليه من سحرهم أنها تسعى (وفي هذا بيان أن آيات الأنبياء من الله وحده وأن موسى حصل له نفس ما حصل للناس من ظنه أن الحبال والعصي صارت تسعى، إلى أن ثبّته الله وأمره بان يُقلى ما في يده، والسحرة لما رأوا عصا موسى تلقف سحرهم خرّوا لله سجدا ولم يؤثروا فرعون على ما جاءهم من آيات الله والذي فطرهم

ولعل في ذلك بيانا أن أعظم من تظهر لها حجة آيات الأنبياء هم أهل الاختصاص بالآية المعينة بما يخفى على غيرهم، لذلك لم يتردد السحرة في العلم بل اليقين أنها ليست من السحر بل خارجة عن قدرة البشر وحينها ترتّب عليه الإيمان بموسى وهارون والاستسلام لله والصبر على إيمانهم وطلب المغفرة بكونهم أول من آمن

وكان يجب أن يكون آيةً لباقي الحضور إيمانُ السحرة وشهادتهم وصبرهم

لكن كما سبق بيانه: ليس كلُ من تبيّنت لهم الآيات: آمنوا، نعم الآية مبصرةٌ أنها من عند الله لكن ليس كل الناس يُقرون بها بل كثير منهم يجحد ولو كانت نفسُه مستيقنة!

والمقصود الأعظم من قصة موسى: برهان أن الله ربُّ كل شيء وخالق كل شيء وهو المعبود الحق ورسالته حق (لذلك جاء فيها كلام موسى عن هذه المعاني كما في سورة الشعراء وطه وغيرهما) ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..وفي جوابه لفرعون (وما رب العالمين)) وكان فرعون منكرا له وكانت له آلهة يصيرها آلهة ويزعم أنه هو الرب الأعلى ، ولهذا كثر تكرار القصة في القرآن، بخلاف قصة غيره ممن بُعثوا لمن هم مقرون بالرب الخالق لكنهم يشركون في عبادتهم أو يدعون له الولد وأهل الكتاب وخلاصة مذاهب الكفار إما (إنكار الرب / الإلحاد، أو اتخاذ شريك مع الله أو جعلهم لله ولدا) وغير ذلك من الباطل كإنكارهم الرسالة والوحي والبعث والمعاد

والشركُ أكثر في بني آدم من القول بأن لله ولدا لذلك جاء بيان بطلانه أكثر في القرآن وكلاهما يقتضي إثبات مثل ونِد لله من وجهٍ ما فإن الولد من الوالد والشريك والولد كلاهما مستلزم للحاجة والفقر فينتفي كون الرب غنيا قديرا، وأعظم ما كان عليه المشركون قبل محمد، وفي مبعثه: هو دعوى الشريك لله، والولد. والقرآن مملوءٌ من تنزيه الله عن هذين، وتسبيح عن المثل والولد يجمع كلّ كمال لله وينفي الفقر والحاجة عنه، واتّخاذ الولد هو عِوَض عن الولادة لمن لم يحصل له، فهو أنقص في الولادة.

فهذا في سورة الإخلاص، وفي سورة الأنعام في مثل قوله: {وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} ، وفي سورة [سبحان]: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذ وَلَدَاً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ} ، وفي سورة الكهف في أولها: {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدَاً} ، وفي آخرها: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِى

من دونى أولياء)) وقال [وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] ، وفي مريم تنزيهه عن الولد في أول السورة، وآخرها ظاهرٌ. وعن الشريك: في مثل قصة إبراهيم، وفي تنزيل، وغير ذلك. وفي الأنبياء تنزيهه عن الشريك والولد، وكذلك في المؤمنين: {مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} ٧، وأوّل الفرقان: {الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدَاً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ} ومذهب الفلاسفة الملحدة دائرٌ بين التعطيل، وبين الشرك والولادة؛ كما يقولونه في الإيجاب الذاتي٢؛ فإنه أحد أنواع الولادة. وهم ينكرون معاد الأبدان.

وقد قُرن بين هذا وهذا في الكتاب والسنة في مثل قوله: {وَيَقُولُ الإنسان أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيَّاً أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئَاً} ، إلى قوله: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدَاً} لذلك سيأتي معنا في السورة (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى لا إله إلا هو..)..(وقال: (قالوا تخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون) ففيها أن الكل ملكه وله قانت والولد والشريك ليسا كذلك وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله

- **من جاءهم رسول لا يعرفون قبله رسولا من الآدميين كقوم نوح فإنه تكون الآيات على صدق النبوة العامة** (أي أن البشر يكون منهم أنبياء ليبلغوا رسالات الله وينصحون ويُعلمونهم) ومعها براهين صدق النبي المعيّن فهو دليل على النوع والعين أما من بعده فهو دليل على العين لأن النوع معلومٌ من قبل، كما ذكّر الأنبياء من بعده أقوامهم قال الله تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأرض مُفْسِدِينَ))
- **كما أن الله تعالى كثيرا ما يذكر حجةً لكون النبي بشرا وأن ذلك معتاد لا عجب فيه** كما قال تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ)) وقال: ((قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ)) يعني: ما كنت أول رسل

الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم، وقال ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) وكانت العرب لا عهد لها بالنبوة من زمن إسماعيل عليه السلام، فقال الله لهم:

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يقول لمشركي قريش: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم، فاسألوا أهل الذكر ، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده.

وأمرهم بسؤال أهل الكتاب يتضمن أمرين:

الأول: أن الله كان يرسل بشرا رجالا

والثاني سؤالهم عن النبي محمد وبيان أنه رسول الله الخاتم، وأن ما جاء به هو الحق، قال الله ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إسرائيل عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ)) وقوله ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلا! تكذيبا منهم لك، وجحودًا لنبوّتك، فقل لهم إذا قالوا ذلك: (كفى بالله) ، يقول: قل حَسْبي الله (شهيدًا) ، يعني شاهدًا (بيني وبينكم) ، عليّ وعليكم، بصدقي وكذبكم (ومن عنده علمُ الكتاب))) وليس المراد شاهدا معينا بل كل من شهد من أهل الكتاب بصدق النبي محمد ورسالته والقرآن ويدخل فيهم عبدالله بن سلام وغيره وقوله ((والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق..)) ((أو لم يكن لهم آية أن يعلمه..)) ((إن الذين أوتوا المتاب من قبله إذا يتلى عليهم..)) ((وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى..) (الذين اتيناهم الكتاب من قبله ...إنا كنا من قبله مسلمين) والمقصود أنه إذا شهد هؤلاء بصدقه وهم معلوم صدقهم فهي حجة يجب تصديقها

وفي قوله تعالى ((فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك..)) وهو حكم علق على شرط والشرط قد يكون معدوما أو ممتنعا كما قال عيسى: ((إن كنت قلته فقد علمته)) المراد منه هنا أن خبر صدق رسول الله معلوم عند أهل الكتاب فهي شهادة للنبي نفسه وللناس لذلك فهي حجة لا يجوز الامتراء والتكذيب بعدها ..وسيأتي تفاصيل ذلك عن شاء الله في موضعه من سورة يونس وبيان تقدير الممتنع المعلق بشرط (فإن استطعت أن تبتغى نفقا..)) ((قل إن كان للرحمن ولد..)) وغيرها كثير

فالله سبحانه يُثبت أصل النبوة والوحي ودعوة الأنبياء وعاقبة المصدّق والمكذّب كما في القرآن المكي ثم بيان نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن لانه مصدّق لمن قبله ومتمم فمن آمن بهم وجب عليه الإيمان به كما قال ((إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا)) وقال ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ

الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)) وآية كل نبيٍ مُصدّقة له ولغيره من الأنبياء، وكل ما ذُكر عن الأنبياء في القرآن هو من آيات رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما يحصل لاتباع الأنبياء من إكرام الله لهم من عنده سبحانه (الذي سُمي بالكرامة) فهو آيةٌ لأنبيائهم كما في قصة مريم وأصحاب الكهف وغلام أصحاب الأخدود وقصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار وغير ذلك

قال ابن تيمية: ((وهو سبحانه اذا خاطب جنس الإنس ذكر جنس الأنبياء وأثبت جنس ما جاءوا به واذا خاطب أهل الكتاب المقرين بنبوة موسى خاطبهم بإثبات نبي بعده كما قال في سورة البقرة في خطابه لبني إسرائيل لما ذكر ما ذكره من أحوالهم مع موسى وذكرهم بإنعامه عليهم وبما فعلوه من السيئات ومغفرته لها قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) ثم ذكر محمدا فقال (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) فذكر سبحانه أنه أرسل المسيح اليهم بالبينات بعد ما أرسل قبله الرسل وأنهم تارة يكذبون الرسل وتارة يقتلونهم وذكر أنه أرسل عيسى بالبينات لأنه جاء بنسخ بعض شرع التوراة بخلاف من قبله ولهذا لم يذكر ذلك عنهم وقال في موسى إنه أتاه الكتاب لأنهم كانوا مقرين بنبوته ولكن حرفوا كتابه في المعنى باتفاق الناس وحرفوا اللفظ أحيانا وفي بعض المواضع)) من كتاب النبوات

- **آيات الله بعضها أكبر من بعض،** قال الله لموسى ((لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) وقال الله ((إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين))، فدل على أنه إن شاء لنزل عليهم آية لا يستطيعون معها جحودا ولا استكبارا
- **غلط من زعم أن آية كل نبي تكون فيما برع فيه قومه وأن ذلك من لوازم كونها آية للنبي المعين**

لقد اشتهر في كلام من تكلم عن آيات الأنبياء أن ينبه على أن آية النبي تكون من جنس ما برع به قومه، ومن يُمثّل لهذه المسألة يذكر بروع قوم موسى بالسحر، وقوم عيسى بالطب، والعرب بالفصاحة والبلاغة بالنظم وتصريف القول، فجاءت معجزة كلٍّ من هؤلاء الأنبياء وِفْقَ ما برع به قومه

ابن قتيبة ذكر هذه المسألة فقال متحدثا عن فضل القرآن وإعجاز فقال " ... فجعله –يعني القرآن– عَلَمَه كما جعل عَلَمَ كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه، فكان موسى فلق البحر، واليد والعصا وتفجر الحجر في التيه بالماء الرواء إلى سائر أعلامه زمن السحر .

وكان لعيسى إحياء الموتى وخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص إلى سائر أعلامه زمن الطب ... " تأويل مشكل القرآن ص: ١٢،

وكأنه أخذ هذا المعنى عن شيخه المعتزلي الجاحظ، فقد قال في فصل من صدر رسالته في خلق القرآن: (ولما كان أعجب الأمور عند قوم فرعون السحر، ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاماً فيه منهم في زمانه، بعث الله موسى على إبطاله وتوهينه، وكشف ضعفه وإظهاره، ونقض أصله لردع الأغبياء من القوم، ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام.

لأنه لو كان أتاهم بكل شيء، ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلعة، ولاعتل به أصحاب الأشغاب، ولشغلوا به بال الضعيف، ولكن الله تعالى جدُّه، أراد حسم الداء، وقطع المادة، وأن لا يجد المبطلون متعلقا، ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً، مع ما أعطى الله موسى من سائر البرهانات، وضروب العلامات. وكذلك زمن عيسى كان الأغلب على أهله، وعلى خاصة علمائه الطب، وكانت عوامهم تعظم على ذلك خواصهم، فأرسله الله بإحياء الموتى، إذ كانت غايتهم علاج المرضى. وأبرأ لهم الأكمه إذ كانت غايتهم علاج الرمد، مع ما أعطاه الله من سائر العلامات، وضروب الآيات؛ لأن الخاصة إذا بخعت بالطاعة، وقهرتها الحجة، وعرفت موضع العجز والقوة، وفصل ما بين الآية والحيلة، كان أنجع للعامة، وأجدر أن لا يبقى في أنفسهم بقية

وكذلك دهر محمد، كان أغلب الأمور عليهم، وأحسنها عندهم، وأجلها في صدورهم، حسن البيان، ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به. فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم، وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله ، فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه). وهي موجودة ضمن رسائل الجاحظ.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ((«كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان؛ فذكروا أنَّ موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب أهل زمانه، وكانوا سحرةً أذكياء، فبُعث بآياتٍ بهرت الأبصار، وخضعت لها الرقاب، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه، وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا ممن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقًا له أسلموا سراعًا، ولم يتلعثموا. وهكذا عيسى ابن مريم بُعث في زمنِ الطبائعيَّة الحكماء، فأُرسل بمعجزاتٍ لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنَّي لحكيمٍ إبراءُ الأكمه الذي هو أسوأ حالًا من الأعمى والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميّتَ من قبره، وغير هذا مما يعلمُ كلُّ أحدٍ أنَّه معجزة دالة على صدقِ مَن قامت به، وعلى قدرة من أرسله. وهكذا محمدٌ صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين بُعث في زمن الفصحاء البلغاء، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فلفظه معجزة تحدَّى به الأنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله، أو بعشرِ سورٍ من مثله، أو بسورة، وقطع عليهم بأنهم لا يقررون لا في الحال، ولا في الاستقبال، فلم يفعلوا، ولن يفعلوا، وما ذلك إلا لأنه كلام الخالق عز وجل، والله لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله». انتهى كلام ابن كثير.

قلت: من أين جاء أن قوم عيسى برعوا بالطب؟ فعيسى قد أرسل إلى بني إسرائيل، ولم يشتهر عنهم أنهم برعوا بالطب. ولكنَّ (رينان) الفيلسوف المؤرخ الفرنسي يقرِّر أن اليهود ما كانوا على علمٍ بالطب الطبيعي؛ فيقول: «كانت صناعة الطب في المشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم، فإنَّ اليهود في فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتابٌ لأبُقراط أبي الطب موضوعه العلة المقدسة يعني: الهستريا، وفيه وصفُ هذه العلة وذكرُ دوائها، إلا أن اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب، وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين، وربما كان ذلك ناشئًا من شدَّة الحماسة الدينية».

فاليهود الذين بُعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا على علم إذن بالطب، أو الطب الطبيعي على رأي ذلك الفيلسوف المؤرخ.

ولعل أول من قال بهذا نظر إلى آية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى كانت من جنس ما برع به قومه، فأراد طردَ ذلك، ولما رأى من عيسى إبراء الأكمه والأبرص ظنَّ أن قومه برعوا بالطب

لو كان ما قالوه صحيحًا، فهل برع قوم عيسى بالكهانة ودعوى علم الغيب، وهو يقول لهم (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) ؟!

وآية المائدة: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾... إلى قوله – تعالى –: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

وهل كانت آية موسى بالعصا التي صارت حيّةً تسعى هل كانت من السحر. لو سُلم جدلا إن بني إسرائيل قد برعوا في السحر؟

وأراد بعضهم طرد ذلك فذكروا أن آية صالح (الناقة) جاءت مناسبة لحالهم في البادية وفي الجزيرة ... واهتمامهم بالإبل!

لا شك سيكون هناك وجه مناسبة بين آية النبي ومَن بُعث فيهم لكن اشتراط أن يكون من جنس ما برعوا فيه هذا ليس دقيقا ولا واقعا ولا يمكن طردُه

- لا أعلم حُجة صريحة به هي مجرد استنباطات ثم تناقلها من تكلم عن الآيات التي سمّوها المعجزات

والحجة جاءت في حديث النبي أن كل نبي يكون له من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وهذا واضح أنه يكون مناسبا لهم وفيه الكفاية ولا شك أنه سيكون من وجهٍ يعلمون به يقينا أنه ليس في قدرتهم وأنه من الله فقد يوافق ذلك ما هو شائع عندهم من علم أو عمل وقد لا

فالأصح في أنها تكون مناسبة للقوم بما يعلم به القوم حجتها

قال: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة). فالآية إنما يؤيَّد بها النبيُّ لتكون شاهد صدقه في دعواه النبوة فلا يشترط كونها مما برع به القوم كما لا يمنع من ذلك، وإنما يشترط فيها أن تكون كافية في إقامة الدلالات والبينات وحجة بالغة تبلغ بالمرسل إليهم مقام الإيمان بالله وبالرسول وبما جاء به.

أن ما تميزت به آيات صلى الله عليه وسلم هو أنها كانت وحياً يتلى عليهم إلى يوم القيامة وفيه من الدلالات ما يكفي لإيمانهم قوله تعالى:(أولم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب يتلى عليهم)..

فالذي يشترط في الآية أن يكون فيها الكفاية لإقامة البرهان والحجة على أنه من الله

والله تعالى لم يذكر آيات كل نبي، والنبيُّ يمكن أن يكون له أكثر من آية، والآيات درجات، وبعضها أكبر من بعض، وإن كنا نعلم أنه ما من نبي إلا وله آيات على مثلها آمن البشر

- هذا فرع عن حصر تسميات (آيات الأنبياء) بالمعجزات فاحتاجوا قيودا لها كأن تكون (خارقة للعادة–التحدّي بها–عدم المعارضة) وبعضهم زاد أن تظهر على يد مدعي النبوة وألا يكون ما ادعاه وأظهره مُكذّبًا له وغير ذلك فلأنهم حرصوا على أن ينطبق التعريف على كل آية/ معجزة فمن هنا حاولوا أن يجعلوا الآية خارقة لعادة القوم ثم جعلوا قوتها في أن يكون القوم برعوا في جنس الآية!

..وكل هذا ناتج عن تركهم ما دلّ عليه القرآن والحديث في الاسم والمعنى ..

والصواب أن آيات الأنبياء أوسع من ذلك ولا يشترط لها سوى ما يكفي في الحجة

- ليس كل آيات الأنبياء يكون مصاحبا لها دعوى النبوة أو التحدي (كما سبق التمثيل له)
- النبي الواحد قد يكون له أكثر من آية موسى عليه السلام آية (العصا واليد، وشق البحر وإحياء الموتى) وغير ذلك وعيسى عليه السلام: ولادته، وكلامه في المهد وغبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وإنبائهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم آياته القرآن والإسراء والمعراج وانشقاق القمر نبع الماء من بين أصابعه وزيادة الطعام وغير ذلك =فهل كان أقوامهم بارعين في ذلك

وخروج إبراهيم من النار كان من أعظم الآيات، فما الذي برع به قومه في هذا النوع ؟!

حتى لو قيل المراد هو أكبر آية لكل نبي تكون مما برع فيه قومه فهذا لا ينضبط

- هناك آيات حصلت لأنبياء في وقت لا يقبل فيه إيمان كآية نوح عليه السلام بعد قال الله له ((لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن))
- وإنما يُعلم مناسبة كل آية بالتأمل فيها وفي وقتها وفيمن ظهرت فيهم

- فالآية عامّةٌ في الحجة على كل من أدركها ومن سمع بها، لكنها بلا شك ستكون مناسبة لمن ظهرت فيها، ولذلك بعضها تكرر وبعضها لا نظير له وجميعها (ما على مثله آمن البشر)
- ثم قد تكون الآية بركةً للنبي ورحمةً به وبأتباعه المؤمنين وتثبيتا لهم وغير ذلك من مقاصد الآيات فليست جميعها لإقامة الحجة بل قد تكون إكراما وتثبيتا ورحمة وغير ذلك

من آيات الأنبياء: نصرهم على قومهم. قال ابن تيمية ((ومن آياته: نصر الرسل على قومهم. وهذا على وجهين:

الوجه الأول بإهلاك الأمم وإنجاء الرسل وأتباعهم

تارةً: يكون بإهلاك الأمم، وإنجاء الرسل وأتباعهم؛ كقوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى. ولهذا يقرن الله بين هذه القصص في سورة الأعراف، وهود، والشعراء، ولا يذكر معها قصة إبراهيم. وإنّما ذكر قصة إبراهيم في سورة الأنبياء، ومريم، والعنكبوت، والصافات؛ فإنّ هذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم. بل في سورة الأنبياء كان المقصود ذكر الأنبياء، ولهذا سميت سورة الأنبياء؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء، وإن لم يذكر قومهم؛ كما ذكر قصة داود، وسليمان، وأيوب، وذكر آخر الكلّ: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} ، وبدأ فيها بقصة إبراهيم؛ إذ كان المقصود ذكر إكرامه للأنبياء قبل محمّد وإبراهيم؛ أكرمهم على الله تعالى، وهو خير البرية، وهو [أبو] أكثرهم، إذ ليس هو [أبا] نوحٍ ولوط، لكن لوط من أتباعه، وأيوب من ذريته؛ بدليل قوله في سورة الأنعام: {وَمِنْ ذُرِّيَتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ} . وأمّا سورة مريم: فذكر الله تعالى فيها إنعامه على الأنبياء المذكورين فيها؛ فذكر فيها رحمته زكريا، وهبته يحيى، وأنه ورث نبوته، وغيرها من علم آل يعقوب، وأنه آتاه الحكم صبيّاً؛ وذكر بدء خلق عيسى، وما أعطاه الله تعالى من تعليم الكتاب؛ وهو التوراة، والنبوّة، وأنّ الله تعالى جعله مباركاً أينما كان، وغير ذلك؛ وذكر قصة إبراهيم، وحسن خطابه لأبيه، وأنّ الله تعالى وهبه إسحاق ويعقوب نبيّين، ووهبه من رحمته، وجعل له لسان صدق علياً؛ ثم ذكر موسى، وأنّه خصّصه الله تعالى بالتقريب والتكليم، [ووهبه] أخاه، وغير ذلك؛ وذكر إسماعيل، وأنّه كان صادق الوعد، وكأنّه -والله أعلم- من ذلك أو أعظمه صَدَقَهُ فيما وَعَدَ به أباه من صبره عند الذبح، فوفى بذلك؛ وذكر إدريس، وأنّ الله تعالى رفعه مكانا عليّاً. ثمّ قال: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم} وأما سورة العنكبوت: فإنّه ذكر فيها امتحانه للمؤمنين، ونصره لهم، وحاجتهم إلى الصبر والجهاد، وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر، وعاقبة من كذب الرسل؛ فذكر قصة إبراهيم لأنّها من النمط الأول، ونصرة الله له على قومه.

وكذلك سورة الصافات قال فيها: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ} . وهذا يقتضي أنّها عاقبة رديئة؛ إمّا بكونهم غُلبوا وذلّوا، وإما بكونهم أُهلكوا. ولهذا ذكر فيها قصة إلياس، ولم يذكرها في غيرها، ولم يذكر هلاك قومه، بل قال: {فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ}. وإلياس قد رُوِيَ أنّ الله تعالى رفعه، وهذا يقتضي عذابهم في الآخرة؛ فإنّ إلياس لم يقُم فيهم، وإلياس المعروف بعد موسى من بني إسرائيل، وبعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال. وبعد نوح لم يهلك جميع النوع. وقد بعث في كلّ أمة

نذيراً، والله تعالى لم يذكر قطّ عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا، كما ذكر ذلك عن غيرهم، بل ذكر أنّهم ألقوه في النار، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأرادوا به كيداً، فجعلهم الله الأسفلين الأخسرين.

وفي هذا: **الوجه الثاني** إظهار برهان النبي بالحجة والعلم والقدرة

ظهور برهانه، وآيته، وأنه أظهره عليهم بالحجة والعلم، وأظهره أيضاً [بالقدرة]؛ حيث أذلهم ونصره. [وهذا من جنس المجاهد الذي هزم عدوه، وتلك من جنس المجاهد الذي قتل عدوه]

وإبراهيم بعد هذا لم يقم بينهم، بل هاجر وتركهم. وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين ظهراني قومهم حتى هلكوا، فلم يوجد في حق قوم إبراهيم سبب الهلاك؛ وهو إقامته فيهم، وانتظار العذاب النازل.

وهكذا محمد مع قومه لم يقم فيهم، بل خرج عنهم، حتى أظهره الله تعالى عليهم بعد ذلك.

الخليلان هما أفضل الرسل

ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل فإنّهم إذا علموا [الدعوة] حصل المقصود

وقد يتوب منهم من يتوب بعد ذلك؛ كما تاب من قريش من تاب.

وأما حال إبراهيم: فكانت إلى الرحمة أميل، فلم يَسْعَ في هلاك قومه، لا بالدعاء، ولا بالمقام، ودوام إقامة الحجة عليهم.

وقد قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرض مِنْ بَعْدِهِمْ}

وكان كل قوم يطلبون هلاك نبيهم [فعوقبوا] .

وقوم إبراهيم أوصلوه إلى العذاب، لكن جعله الله [تعالى] عليه برداً وسلاماً، ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء التام، وإنّما فيها من الجزاء ما [تحصل] ٦ به الحكمة والمصلحة؛ كما في العقوبات الشرعية.

فمن أراد أعداؤه من أتباع الأنبياء أن يهلكوه فعصمه الله، وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه، ولم يهلك أعداءه، بل أخزاهم، ونصره؛ فهو أشبه بإبراهيم { **قلت**: يقصد: أنّ من أتباع الأنبياء من يُريد أعداؤه أن يُهلكوه، ويعصمه الله منهم. فجملة: (فهو أشبه إبراهيم): جواب الشرط. ومعناه: من أراد أعداؤه إهلاكه، وعصمه الله، وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه، وأخزى أعداءه، فهو أشبه بإبراهيم عليه السلام.} وإذا عصمه من كيدهم، وأظهره حتى صارت الحرب بينه وبينهم سجالاً، ثم كانت العاقبة له، فهو أشبه بحال محمّد ﷺ؛ فإنّ محمداً سيّد الجميع، وهو خليل الله؛ كما أن إبراهيم خليله.

والخليلان: هما أفضل الجميع، وفي طريقتهما من الرأفة والرحمة، ما ليس في طريقة غيرهما.

حكمة الرب تعالى في عقوبته لكل قوم بما يناسبهم

ولم يذكر الله عن قوم إبراهيم ديناً غير الشرك، وكذلك عن قوم نوح.

وأمّا عاد: فذكر عنهم التجبّر، وعمارة الدنيا

وقوم صالح: ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الدين، لم يذكر عنهم من التجبر ما ذكر عن عاد، وإنّما أهلكهم لما عقروا الناقة.

وأمّا أهل مدين: فذكر عنهم الظلم في الأموال، مع الشرك؛ {قَالُوا يَا شُعَيبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ}.

وقوم لوط ذكر عنهم استحلال الفاحشة، ولم يذكروا بالتوحيد، بخلاف سائر الأمم. وهذا يدلّ على أنّهم لم يكونوا مشركين، وإنما ذنبهم استحلال الفاحشة، وتوابع ذلك. وكانت عقوبتهم أشد؛ إذ ليس في ذلك تديّن، بل شر يعلمون أنه شرّ

وهذه الأمور تدلّ على حكمة الربّ، وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم؛ فإنّ قوم نوحٍ أَغرقهم إذ لم يكن فيهم خيرٌ يُرجى)) من كتاب النبوات له

وقال في موضع آخر عن قوم لوط ((وكانوا كفاراً من جهات؛ من جهة استحلال الفاحشة، ومن جهة الشرك، ومن جهة تكذيب الرسل؛ ففعلوا هذا وهذا، ولكن الشرك والتكذيب مشترك بينهم وبين غيرهم، والذي اختصوا به الفاحشة، فلهذا عوقبوا عقوبة تخصهم، لم يعاقب غيرهم بمثلها، وجعل جنس هذه العقوبة هو الرجم)) تفسير آيات أشكلت من القرآن ١/٣٩١.

تنبيه:

ذكر الله سبحانه وتعالى قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء بعد قصة موسى وإهلاك فرعون وقومه؛ قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ} . الآيتان ٦٩-٧٠.

قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ... إلخ} . سورة الأنبياء، آية ٥١، إلى آية ٧٣.

قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً} .. سورة مريم، الآيتان ٤١-٤٢، إلى آية ٥٠.

قال تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . سورة العنكبوت، الآية ١٦، إلى الآية ٢٧.

قال تعالى: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ... } . سورة الصافات، الآيات ٨٣-٨٥، إلى آية ١١٣. لكنه لعله يقصد لم تذكر قصته بنجاة أتباعه وهلاك مكذبيه كما ذُكر عن قوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط.